

العضور الأمريكي في الشعر المصري الحديث

دكتور مصطفى محمد أبو طامون

تقديم / أ.د. خالد فهمي

ما هذا الجسد اليهودي ديارنا والأمر

ما فتح المدينة للجراد وللدخان
ما مد القروض لكل لص العيان
ما حرق قطار العيد عند المزلقان

دار البشير
للثقافة والشؤون

«ماذا على الشعراء لو
في ذحمة الألوان ظل
وتنه لهم / وليذهب
كالماء في دوزن

سواء زدن أو ساء
موقفنا من الشعر
فالشعر
ن قال محمد

الحضور الأمريكي في الشعر المصري الحديث

دكتور مصطفى محمد أبو طامون

في هذه الدراسة

(الحضور الأمريكي في الشعر المصري الحديث)

كشف عن موقف الشاعر المصري الحديث من الآخر متمثلاً في أمريكا برموزها كافة ، ابتداء من عملتها وثقافتها ولغتها وحتى رمزها الرئيس ؛ متمثلاً في الرئيس الأمريكي .. كل ذلك عبر بحث في الماهية والكيفية ؛ والثابت أنه لما آلت الهيمنة الدولية إلى أمريكا لم يخن الشعراء أمانة الكلمة كما لم يخونوا الوطن فامتشقوا سيف الكلمة الواعية .. التوعوية .. يحذرون وينبهون .. وفي شعر هؤلاء من جماليات الفن ما ينأى به بعيداً عن خطابات الساسة وكتابات المفكرين وإن لم يخلُ في كثير من الأحيان من ومضات فكر الساسة ودقة نظرات المفكرين .



دار البیتير للثقافة

01152806533 - 01012355714

darelbasherealla@gmail.com

darelbashbeer@hotmail.com

www.darelbashbeer.com

الحضور الأمريكي
في الشعر المصري الحديث



اسم الكتاب: الحضور الأمريكى في الشعر المصري الحديث
التأليف: د. مصطفى محمد أبو طاحون
عدد الصفحات: 160 صفحة
عدد الملاحق: 10 ملزمة
مقاس الكتاب: 14 × 20 سم
عدد الطبعات: الطبعة الأولى
الإيداع القانوني: 2015/25214
الترقيم الدولي: I.S.B.N.978/977/278/510/0

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل
طرق الطبع ، والتصوير ، والنقل ،
والترجمة ، والتسجيل المرئي والمسموع
والحاسوبي ، وغيرها من الحقوق إلا بإذن
خطي من :

1437 هـ

2016 م

التوزيع والنشر
دار البشير للنشر والتوزيع

مصر

darelbasheer@hotmail.com

darelbasheeralla@gmail.com

ت : 01152806533 - 01012355714

الحضور الأمريكي في الشعر المصري الحديث

تأليف:

دكتور مصطفى محمد أبوظاحون

كلية الآداب جامعة المنوفية

دَارُ البَـشِيرِ
لِلثَّقَافَةِ وَالْعُلُومِ

الإهداء

إلى حبة القلب الحبيب (عمر) الرجولة في أقوي تمثلاتها ..
إلى إنسان العين الحبيب (صهيب) فك الله كربه وجمع شمله وعوضه وحفظه
إلى الحبيب (محمد) الصبي الرجل ..
إلى زهرة البيت وحماته وضحكته الدائمة (تقي) ..
إلى الحبيبة .. الزوجة .. والأخت .. المؤمنة (أم عمر)
أحبكم وأشكر لكم إحساناتكم ..

المعجب مصطفى

2015/11/2

تقديم

رقصة الأفعى

قراءة في: تقنيات الخطاب

في مدونة الشعر المصري الحديث في الرمز الأمريكي

أ.د. شمالي فهد

كلية الآداب / جامعة المنوفية

مدخل

لقد ظل الشعر في الفعل العربي علم قوم لم يكن لهم أعلم منه، كما أثر عن عمر بن الخطاب، رضي الله عنها.

وهو الأمر الذي فجر سؤالاً جوهرياً يتعلق بقدرة الشعر على تغيير العالم، إن براكين الغضب، وأنهار القبة تتخلق أولاً في مخيلة الشعراء.

وهذا المبدأ النقدي يعيد تقدير الترابط العضوي بين القضية الفكرية والتقنية الفنية. وهو وعي جديد يتلمس طريقة نحو النور على يد نفر من الدارسين النقاد، ربما بتأثير الفرار من سطوة النظرية النقدية الغريبة.

ومن ثم، فإن ظهور دراسات تتأسس على هذا الوعي الجامع بين الفكرية والتنقيب أمر يثير الإعجاب، ويبعث على الأمل في تعافي الكتابات الأدبية المعاصرة بعد أن عرفت في آبار الوفاء للشكل، والعذر بالمضمون!

1 - الكتاب: مادته، وانتماؤه المعرفي.

إن هذا الكتاب الذي يتطلق في معالجة للرمز الأمريكي في مدونة الشعر المصري الحديث موضوعياً وفنياً محكوم في حركته بإدراك الثنائية المشخصة لجوهر البناء الشعري.

(1/2) وقد جاءت مباحثة كما يلي:

أولاً: الماهية أو مادة الكتاب

وبيلوجرافيا الشعر المصري الحديث في الرمز الأمريكي، قصائد/ دواوين التيارات الحاكمة للمدونة: تيار لمس الرقيق/ تيار المواجهة أو العتاب العنيف، القواسم المشتركة لموضوعات المعرفة:

- الإمساك بال اللحظة التاريخية.
- وضوح البعد الإنساني تسامحاً.
- حضور الدين

2 - فن التقنيات الشعرية في خطاب الآخر الأمريكي، (التكرار/ المقابلة/

المفارقة/ النفي/ الأساليب الإنشائية/ التناحي/ الصورة/ الإيقاع)

إن فحص مادة العقاب وهيكله كاشف عن هذا الوعي معاً في تشكيل العمل الشعري، وكاشف عن أن الدراسة الخلاقة القادرة على استثمار النصوص الإبداعية من أجل بهجة العقل ومتعة الروح معاً عليها أن تنتصر لثنائية العمل الشعري، بموضوعه وجسمه المادي المتمثل في تشكيله اللغوي والجمالي.

وهي العناية التي تعطف على النص الأدبي، وتحله محله المعبر بعناصر تكوينه جميعاً من غير غدر موعد من عناصر تكوينه المشكلة لماهيته وكيونته. لقد أثبتت هذه المعالجة أن النص يوشك أن يكون إنساناً تجب رعايته من أطرافه جميعاً، موضوعه، وبنائه المادي.

(2/2) أما من جهة الانتماء المعرفي لهذا الكتاب، فهو عصب الانتماء، صالح لأن تتجاذبه حقول معرفية كثيرة. وفي ما يلي أهم هذه الانتماءات المعرفية التي يمكن أن يندرج تحتها هذا الكتاب:-
أولاً: النقد الأدبي:

إن أول حقل يتبنى هذا الكتاب هو حقل النقد الأدبي؛ ذلك أنه يتناول قضية فكرية/ قيمة مضفرة بفحص تقنيات الخطاب الشعري الفنية.

إن الدراسة الأدبية لهذه القضية الفكرية التي تتجلى في مدونة الشعر المصري من منظور يرمي حركة الفكر وتنوعاته وآخره الفلسفة التي تحكمه والتيارات التي فسر بأصوات الشاعرة، في توافقاتها وتقاطعاتها، غير متجاهلة للطاقت الفنية وتقنيات بناء النصوص الشعرية تبعاً للتجليات الفكرية الحاكمة لمسارات الشعراء المصريين المعاصرين.

ثانياً: الأسلوبية الأدبية:

لقد تذرع الدكتور مصطفى أبو طاحون في معالجة الموضوع هذا الكتاب بعدد كبير من نتائج الدرس الأسلوبي، الوريث المعاصر للبلاغة العربية التقليدية كما يحلو لعدد من الدارسين المعاصرين أن يجروا القلم بوصفه.

لقد نهض استثمار تقنيات التكرار والمقابلة وفحص الأساليب الإنشائية بواجب يعتبر من استحضار الأسلوبية في خدمة التحليل الفني لنصوص هذه القضية الفكرية، وهو ما يجعل هذا الكتاب نموذجاً مصغراً للدراسات الأسلوبية التطبيقية من منظور ظاهر.

ثالثاً: الرأي العام:

لقد كان تتبع هذا الكتاب للأصوات الشعرية المعاصرة في مصر الحديثة من لون أحمد شوقي وأحمد محرم إلى يوم الناس هذا، ودراسة تجليات الرمز الأمريكي في قصائدهم وأشعارهم ودواوينهم بمثابة استطلاع للرأي العام في أوساط فريق

من النخبة المثقفة المصرية على امتداد عقود متتالية تجاه قضية محورية في السياسة المصرية والعربية معًا تجاه رمز يتجلى مفردًا بامتياز في المخيلة المثقفة المتممة تعلن تألمها، واستيائها ونفورها منه على الدوام.

وهو ما يمكن أن يجعل من هذا الكتاب مثالاً لدراسات الرأي العام من الدرجة الثانية. **رابعًا: التاريخ والسياسة:**

ومن جانب آخر فإن تحليل القواسم المشتركة لتجليات الرمز الأمريكي في الشعر المصري المعاصر كاشف عن وعي وحضور للحدث التاريخي والسياسي معًا في الشعر المصري المعاصر، بما يجعل الشعر قادرًا على تجاوز المجتمع فقط إلى موانئ المتعة العقلية والفكرية كذلك.

لقد أعاد هذا الكتاب الثقة في العلاقة العضوية بين التاريخ والشعر، وأعاد التذكير بالقاعدة القديمة التي كانت ترى في الشعر ديوان العرب!

إن أهمية هذا الكتاب المعلنة تظهر من برهته على أن الأشغال بالقضية الوطنية الحقيقية، والوفاء للمسألة المصرية قادر على القضاء على التجاذبات المريضة للأيديولوجيات. وهو ما يعطي مثالاً ممتازًا إلا وكان تحقق صناعة التوافق بين أطراف النخبة المثقفة المصرية الوطنية جميعًا.

لقد صدع أحمد شوقي وأحمد محرم وعبد الرحمن الشرقاوي وجابر قميحة وفاروق جويده وأحمد تيمور ووحيد الدهشان بقواسم مشتركة كثيرة على الرغم من تباينات اتجاهات هؤلاء الشعراء الفكرية والنفسية.

إن فحيج الأفعى صنع توافقًا عند اشتعال وهج المسألة الوطنية في النفوس، وهو ما استطاع الدكتور مصطفى أبو طاحون أن يعالجه بامتياز في هذه الدراسة.

3 - الرمز الأمريكي: مقالة في خطاب المصادر

يمثل تحليل خطاب المصادر في أي دراسة خيطًا كاشفًا عن أشياء كثيفة قيِّمة

جداً في الترجمة عن جهد الدارس وذكائه النقدي معاً.
والتوقف أمام مصادر هذه الدراسة كاشف عن مجموعة قيمة جداً من خصائص
عمل الدكتور مصطفى أبو طاحون وهو ما يمكن أن نجمله في ما يلي:-
أولاً: الامتداد الزمني لمدونة الشعر المصري المعاصر في القضية موضوع
الكتاب، على ما يقرب من قرن كامل أو يزيد.
ثانياً: التنوع الفكري لشعراء الدراسة، وهو ما خلق شعوراً ممتازاً بموضوعية
المعالجة ونزاهتها معاً.
ثالثاً: التنوع الجغرافي المحلي لشعراء الدراسة، وتوزعهم على الريف والحضر
وهو ما جعل العينة معبراً جداً عن مسار القضية الفكرية في تجليات الفكرية.
رابعاً: التنوع الفني لقصائد المدونة، وتوزعها على أنواع القصيدة المعاصرة،
واستيعابها للتنوعات المذهبية الأدبية معاً.
خامساً: الجمع بين الدرس الأدبي والنقدي، واستيعاب التقنيات من خلال
اختيارات من الأسلوبية والبلاغة العربية ودراسات النقد الحديث، الإيقاع والصورة
الفنية والفنون التشكيلية (اللوحات المتكاملة) ونجد ذلك.
ويبقى هذا الكتاب مؤدناً بصوت نقدي وطني يعرف طريقه نحو خدمة المعلم
من منظور مهني ووطني معاً.

المقدمة

وعى الشاعر من قديم حقيقة دوره، فعاش متفاعلاً مع بيئته الحاضرة، وأتمته التي ينتمي إليها، يُسرُّ لانتصارهم وأفراحهم، ويأسى لانكسارهم وأتراحهم.. وقد كان له في أكثر الأحيان موقفه الإيجابي المنسجم مع مصالح أمته وقضايا وطنه ومشكلات مجتمعه.

وقديماً كان المدح والهجاء كلاهما، يراعي فيه الشاعرُ مصالحَ القبيلة والعشيرة؛ فمدح الفرزدق على زيريته خلفاء بني أمية لمصلحة قيس قومه.. وحديثاً كثر الشعر العربي، والمصري منه خاصة في سياق نضال الوطن ضد خصومه، فكثر الشعر المصري في الإنجليز والفرنسيين في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل العشرين.. ولما آلت الهيمنة إلى سيدة العالم، أمريكا لم يخفى الشعراءُ أمانة الكلمة، كما لو يخونوا الوطن، فامتشقوا سيف الكلمة الواعية.. التوعوية.. يحذرون وينبهون، وقد اجتمع من ذلك شعرٌ كثيرٌ.. مبعثرٌ.. جسد وفاء الشعراء لقضايا الوطن وهموم الأمة، وفوق الدور التوعوي الوطني الذي يميز هذا الشعر، فإن له من جماليات الفن ما يتأى به بعيداً عن خطابات الساسة وكتابات المفكرين، وإن لم يخلُ في كثير من الأحيان من ومضات فكر الساسة ودقة نظرات المفكرين.. على أنه ينبغي التفتن إلى أن الحديث عن أمريكا إن يكن حديثاً عن حالة تاريخية واقعية فإن ملامسة بعض جوانبها عبر الشعر، يعنى حضوراً وافداً جديداً هام فاعل هو رؤية الشاعر الذاتية للعلاقة أو الصراع.. ومن ثم فالموضوعية هنا نسبية ليست مطلقة. الحقيقة، الأمر الذي يجب الاحتياط له، والحد أن يكون الشعر مصدراً تاريخياً وحيداً معتمداً.

وقد وقع اختياري على دراسة مدونة هذا الشعر لبكارة البحث وأهمية

الموضوع، وجعلت عنوان الدراسة: «تقنيات الخطاب في مدونة الشعر المصري الحديث في الرمز الأمريكي» متخذًا سبيلًا في المنهج يجمع إلى التحليل المضموني التحليل الفني بما يسم المنهج بالتكاملية، فإنه إذا كان صحيحًا أن العمل الفني لا يستمد جلاله وروعته من خلال الموضوع الذي يعالجه، بل من خلال القدرة الفنية على التعبير عن هذا الموضوع.. فالأصح كذلك أن التجربة الفنية لا تنهض على الأسس الشكلية وحدها، إن المبنى في ذاته لا قيمة له من دون المعنى، وإن الاثنين لا ينفصلان، وإن الشعر استعمالًا خاص للغة، ولكن قيمة أي استعمال للغة، هي أن نقول شيئًا، لأن اللغة وسيلة اتصال بين الناس»⁽¹⁾

وربما بالغ بعض النقاد فجعل أساس كل مقارنة محصورًا في الوجهة الفنية، غافلاً عن سوء عاقبة الفصل بين وجهي عملة الأدب، متجاهلاً حقيقة صعوبة عزل الشكل عن المضمون، وأن انفعالاتنا ندافع بها عن قيمنا ومعتقداتنا ونصبُّ فيها أحاسيسنا ونجعل منها أداة اتصال بين قلب الفنان المبدع ووجدان المتلقي لهذا الفن»⁽²⁾

والأجمل أن يكون التوازن قائمًا في المقارنة بين الشكل والمضمون بين الرؤية والرؤيا، بين الماهية والكيفية، فيُعنى النقاد في مثل موضوع البحث، وحين لا توجد دراسات سابقة، بجائبي الإبداع، مُعظَّمًا هذا في حين على ذلك، أو ذلك على هذا في حين آخر، طبقًا لخصوصية الموضوع، بحيث «يكون حرصنا على استخلاص الظواهر العامة والقضايا والمواقف الفكرية بقدر حرصنا على معاينة الخبرات والمهارات التي يمارسها الشاعر في سبيل أن يقول ما يقول»⁽³⁾

وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن موقف الشاعر المصري الحديث من الآخر ممثلًا في أمريكا برموزها كافة؛ ابتداءً من عُملتها وثقافتها أو لغتها، وحتى رمزها الرئيسي: المتمثل في الرئيس الأمريكي، متعاقبًا على اختلاف أسماء من شغلوا هذا المنصب.. كل ذلك كيف كان؟ (الماهية) وكيف عبر الشاعر عن هذا الموقف إبداعيًا وجماليًا؟ (الكيفية) وأراني الآن مطالبًا بتحديد مفهومي في البحث للرمز، لتباين دلالاته

في الدراسة عنها في البحوث المختصة بالرمز والرمزية مذهباً أو فلسفة.
والرمز بالدراسة بما هو «وسيلة إيحائية»^(٤) هو «علامة تعتبر ممثلة لشيء آخر، ودالة عليه، فتمثله وتحل معه.. وهو كل علاقة محسوسة تذكر بشيء غير حاضر، فالعلم وهو قطعة من القماش الملون، يرمز إلى الوطن والأمة، والصليب يرمز إلى المسيحية، والهلال يرمز إلى الإسلام»^(٥)

والرمز على هذا النحو هو كل ما يشير إلى أمريكا، لغة أو فكراً، مدينة أو معلماً، رئيساً أو مؤسسة، والحق أن الرمز الأمريكي الأكثر حضوراً بمدونة^(٦) الشعر المصري، هو الرئيس الأمريكي، بما هو رمز الدولة الأكبر، وتمثل هذا الحضور بذكر اسمه في حين بثايا شعر المدونة راءاً إلى أمة أمريكا، وأكثر ما يكون هذا الحضور، أن يخاطب الشاعر المصري رئيساً أمريكياً بعينه في قالب الرسالة الشعرية^(٧) يكشف فيها عما شاهده الشاعر مما اقترفته يدُ الرمز.

وقد جعلتُ البحث، انطلاقاً من طبيعته في مقدمة وتمهيد وفصلين وخاتمة.

أما المقدمة فمن فكرة الموضوع، وأهميته والدراسات السابقة.

وأما التمهيد فيعرض للحضور الأمريكي في ثايا الشعر المصري الحديث ضمن موضوعات أخرى مهيمنة بحيث بدا الرمز الأمريكي في أكثر الأحيان جزءاً من كلٍّ أو أداة فنية، يستثمرها الشاعر لاستكمال ملامح موضوعه الرئيس، ويختص شعر هذا التمهيد بمرحلة زمنية لم تكن فيها أمريكا قطب العالم الأوحَد، وكان وجهها الحضاري المضيئ حينذاك أوضح من وجهها السياسي العسكري المُفْني. والفصل الأول بعنوان: ماهية أمريكا.. صورةً شعريةً، ويعنى بالإجابة عن

سؤال، كيف رأى الشعراء أمريكا؟

والفصل الثاني بعنوان: التقنيات الشعرية في فن خطاب الآخر الأمريكي، ويُعنى بالكيفية التي عبّر بها شعراء مصر عن أمريكا.

وبالختامة أهم النتائج والتوصيات.

أما الدراسات السابقة في الموضوع، فأكاد أجزم أنه ليس في المكتبة العربية- فيما أعلم- من تناول الموضوع على النحو الوارد- هنا- من قبل. ولا يدعي الباحث لنفسه الريادة زوراً، ولا الشجاعة بهتاناً، فقد التمعت فكرة هذا البحث، حينما اعترمت الهيئة العامة لقصور الثقافة، ممثلةً في إقليم القاهرة الكبرى عقدَ مؤتمر اليوم الواحد لعام 2009، وجعلت عنوانه: «أدب الغضب» فشاركْتُ فيه ببحث كان عنوانه: «الرمز الأمريكي في الشعر المصري الحديث دراسة في آليات أدب الغضب»^(١) وكان صلب البحث معتمداً على قصيدتين، هما: «رسالة من أب مصري إلى الرئيس ترومان» لعبد الرحمن الشراوى، «فى وداع بوش» لفاروق جويده.

وما زالت الأيام تتوالى هادئة.. تنمو بمادة البحث وتتطور بفكرته، وبفعل الانشغال بالفكرة حتى زادت النصوصُ الداخلة في صلب الدراسة- عدا ما لامسها من قريب إلى اثني عشر نصاً كاملاً، بخلاف ديوانين خلاصا بكاملهما للرمز الأمريكي هما: «محاكمة أمريكا» للشاعر محمد الجيار، و«فى وصف أمريكا» للشاعر الدكتور أحمد تيمور.

وقد مثلت تلك المادة المتكاثرة.. المتناثرة أولى صعوبات البحث؛ إذ تطلب الوقوع عليها زماناً وجهداً وصبراً، ومعاودة كتابة، وكثرة تعديل وإضافة، عن قبول ورعاً، وتمثلت ثاني الصعوبات في تصنيف مسائل البحث وتصميمه، هل يُعتمد الموضوع هو المعيار، فنقسم المادة على الخطابات الشعرية للرئيس، أو الخطابات الشعرى الحضارى والحضري؟ أم تُصنف المادة بحسب المنحى الفكري للشاعر، ما بين يساري (الشراوى والجيار) واسلامي (جابر قميحة ووحيد الدهشان)، وإنساني قومي (فاروق جويده وأحمد هيكمل) وانتهيتُ إلى عدم جدوى التقسيمات السابقة.. على أن المنهج التكاملي سينأى بسليات هذه التقسيمات بعيداً مع ضرورة العناية بالجانبين الموضوعي والفني، وهو ما بدا واضحاً في فصلي البحث، وتمثلت

الصعوبة الثالثة في انعدام الدراسات المثيلة أو المقاربة، وإن لم يعدم الباحث صوئ هاديات، تلامس من بعيد موضوع البحث دون أن تشارك في صنع الفكرة؛ إذ وقعت يدي على هذه الصوى متأخرًا، وليست على أية حال وثيقة الصلة- في مجملها- بالموضوع، ويقدر من التسامح والأريحية يمكن أن يكون من ذلك:

صورة الآخر في الشعر العربي الحديث للدكتور فوزي عيسى⁽⁹⁾ وتقع الدراسة في 480 صفحة، في قسمين تسبقهما مقدمة وتبعمها خاتمة، والقسم الأول عن حضور الآخر في الشعر القديم، والثاني عن حضور الآخر في الشعر الحديث، وفيه عرض لصورة الغرب في شعر شوقي، وصورة الآخر في شعري أبي ريشة وإبراهيم العريض، وفي مقدمته أكد على قلة الدراسات المعنية بحضور الآخر في الشعر العربي، فقال:

« لم تحظ صورة «الآخر» في الشعر العربي بدراسات وافية بالرغم من أهميتها، وظلت هذه الصورة يكتنفها الغموض والتعتيم لاسيما أن مفهوم الآخر ذاته يثير كثيرًا من الجدل ويسمح بالاختلاف حوله ويبدو في نظر الكثيرين غير محدد على نحو دقيق»⁽¹⁰⁾

ومفهومه للآخر متسع جدًا، ولا يشمل أمريكا بحال، ويكاد يعنى به الفرس والروم والترك قديمًا، وأوروبا وإسرائيل حديثًا.. يقول: «إن مفهوم الآخر- من وجهة نظرنا-.. نعنى به الأجنبي المضاد للذات العربية والذي فرضت الظروف السياسية والاجتماعية والجغرافية والحضارية أن يكون هناك اتصال وتماس وعلاقات وجوار بين الطرفين» وانتهى الدكتور فوزي عيسى في دراسته الجادة والمعمقة إلى أن الموقف العام من الآخر في الشعر العربي ينطلق من الرفض ويعكس توجه الوجدان الجمعي للأمة العربية»⁽¹¹⁾

تمهيد

قديمًا حكى الأصمعي عن ابن أبي طرفة أنه قال:

«كفأك من الشعراء أربعة: زهير إذا رغب، والنابعة إذا رهب، والأعشى إذا طرب، وعنترة إذا كلب، وزاد قومٌ وجريز إذا غضب»^(١)

واللافت أن جميع حالات الإبداع الكافية والكافة عن غيرهم تتصل بالآخر.. أي آخر.. فالرغبة والرغبة والطرب والكلب والغضب، لا تكون إلا متصلة بالآخر، فيه أو منه أو له أو بسببه أو عليه.

هذا الآخر قد يكون فاضلاً محبوباً، فيرغب فيه، وقد يكون قوياً متغرضاً فيُرهَب أو يرغب عنه، وقد يكون جميلاً عظيماً.. إنساناً فيطرب به، وقد يكون عدواً حاقداً فيكَلِّب عليه، ويغضب منه..

والحق أن فهم الشاعر لذاته وتأسيساً على ما حكاه الأصمعي من قديم يمر دائماً عبر فهمه للآخر الذي لم يكن إلا نظيراً أو نقيضاً أو مختلفاً، وفي وسعنا حقاً مشاركة تيرى هتش ما ذهب إليه في قوله: يمر فهمنا لذاتنا عبر فهمنا للآخر»^(٢)

وإذا كان ذلك حقاً فيما مضى، فهو الحق الصراح الآن، فما يملك أحد أن يماري فيه في ظل سياسة العولمة أو الانفتاح الشامل الذي يعم الأرض، إعلامياً واقتصادياً وسياسياً، والسعي إلى فهم الآخر كما هو خطوة ضرورية وحضارية.. مشمرة، فيها كل الخير، فإضافة إلى أن إدراك الآخر جزءٌ من إدراكنا لذاتنا شريطة أن يكون إدراكنا له كما هو وليس كما نريد، أو كما يُراد لنا أن نريد، ف«إن تصوره وفهمه يطرح الآليات الصحيحة للتعامل معه، والتوجه إليه من مبدأ

التعارف الإنساني المتبادل ﴿يَتَأْتِيَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: 13) وعند ذاك تتقدم المحبة على الكراهية، والانفتاح على الانغلاق، والتكامل على التنافر، والتحالف على الصدام»^(١)

والفترة التي يمرُّ بها الكون الآن يحكمها ضمن ما يحكمها مفهوم الهيمنة الأمريكية^(٢) فبعد انتهاء الحرب الكونية الثانية العظمى، بدت أمريكا إمبراطورية قد ورثت عن إنجلترا وفرنسا ما كانتا تتمتعان به من سيطرة وهيمنة وعدوان واستعمار.. وليس هناك على الكوكب الأرضي الآن موضع قدم أو حدث أو زعيم أو ظاهرة كبرى اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية أو عسكرية، إلا ولأمريكا صلةٌ ما بهذا أو ذاك على نحو من الأنحاء.

إن القطب الأوحـد الأمريكي مرتبـعٌ منفردٌ على عرش الأرض، بعد انهيار إمبراطورية الدب الأحمر في مطلع تسعينيات القرن المنصرم.. وللحرب قضيتهم الأولى التي يرتـهن أمرُ حلها من الوجهة السياسية بالقرار الأمريكي شاء من شاء وأبي من أبي، وقد بات الحضور الأمريكي في شتى مناحي الحياة ملبسًا ومطعمًا وفكرًا قدرًا محتومًا، ابتداءً من الجينز والكتاكي وأفلام هوليوود، ناهيك عن حضورها الطاغـي في عالم الاقتصاد والإعلام وصناعة الزعامات فضلًا عن السياسة والحرب.

وقد حاول بعض الراغبين في النجاة أو الحظوة إبعاد الفن والأدب عن التطرق إلى السياسة وقضايا الأمة باعتبار ذلك ترفًا، ساقهم إلى حد القول، بأن الأديب منفصم الشخصية، فالمواطن فيه سياسي كغيره من المواطنين، وأما الفنان فيه فلا علاقة له بالسياسة، وهو تبسيط مُخِلٌّ لأقصى حدود الفكر الأدبي»^(٣)

والحق أن هذه الحيادية المزعومة خاصة في اللحظات المصيرية التي تستجمع

فيها كلُّ أمة كافة مقدراتها للصدود والمواجهة حيادية مرفوضة، لا يرفع رايتها إلا مستسلم أو غافل أو مأجور.. وقد نعى الشاعر الحديث نجيب سرور هذه الحيادية، واستخف بمن زعمها فقال مستهزئاً:

«ماذا على الشعراء لو لزموا الحياذ

في زحمة الألوان ظلُّوا كالرماذ

كالماء لا لَوْنٌ لهم/ وليذهب الشيطانُ بالألوان طُرّاً

فالشعر شيء.. والسياسة/ شيءٌ سواه

كالماء والقطران من حيث الكثافة/ ياللسخافة/ مَنْ قال هذا؟»^(٦)

والشعراء من قديم وكما يرى الطبري «هم ذوو الرأي في قبائلهم، ينيهونهم عند الملمات، ويستعينون بهم وقت الشدائد، ويلجئون إليهم في الحروب، فقد ورد أن سعداً أرسل يوم (أرمات) إلى ذوى الكلام من رجال الشعر والثر يدعوهم إلى استخدام أسلحة الحرب»^(٧).

ومما يُحمد لشعراء المدونة، أنهم لم يخذعوا لدعوة الحياذ، بل انحازوا عن وعي دقيق ووطنية صادقة، وبإبداع راقٍ، وفنٍّ باقٍ لقضايا الأمة.. وهو الأمر الذي يكبره كلُّ سوى في كل واحد منهم «لو هو ظل ملتزماً هذا الصديق دون خوف أو نفاق أو تردد..» ويقدر تمسك الشاعر بموقفه بقدر ما يسجل له التاريخ شجاعته وعزته وقدرته على التضحية بكل أطماع ومباهج الحياة الزائفة من أجل الكلمة والموقف»^(٨)

وقد تجمع من هذا الشعر المصري في أمريكا برموزها المتعددة شعرٌ كثيرٌ، يمكن أن يُشكَّل بعد جمعه من مظائنه المتباعدة زماناً وباعثاً، ومنحى أسلوبياً مدونةً شعريةً حديثة، تمسك باللمحة التاريخية المصرية فترفع أقراناً وتخفّض آخرين. والمنادون بحيادية الشعر آنئذٍ، إنما يحرمون الأمة قصداً أو غفلة ضوء مشعل

هادٍ فاعل، يمكنه أن يسهم في التنوير وتشكيل الوعي «فغاية الشعر هي إنارة عقل هذا الإنسان وإثراء حساسيته ومساعدته على إدراك صحيح للحياة وإلهاب شوقه لأن تسود قيم الحق والخير والجمال»^(٩) كما يحرمونها جهداً مصلح، إن أتاحت له حرية كافية.. كان سهماً على الأعداء، ودواءً للأولياء، فالثابت أن شهوة الإصلاح تبلّث الشاعر كما الفيلسوف، ف «إن شهوة إصلاح العالم هي القوة الدافعة في حياة الفيلسوف والنبى والشاعر؛ لأن كلاً منهم يرى النقص فلا يحاول أن يخدع عنه نفسه، بل يجهد في أن يرى وسيلة لإصلاحه ويجعل دأبه أن يشر بها.. (و) الشعراء يعرفون أن سبيلهم هي سبيل الانفعال والوجدان وأن خطابهم يتجه إلى القلوب»^(١٠)

وعلى الفن يقع عبء كبير في استكناه الواقع، وفي قيادته إلى المصير المقرر، وليس دوره مجرد رصد الأحداث، تاريخية كانت أو معاصرة»^(١١)

ومما أراني الآن في حاجة إلى التأكيد عليه أنه ليس أحد ضد قيم الإنسانية الكبرى، كالحق والعدل والخير والجمال والتسامح والتعاون، كما أنه ليس سوى يخنغ للعدوان أو الطغیان أو العنصرية أو التعصب أو البغضاء، وكما أن لأمريكا مثالبٌ فلها فضائل، وبقدر الإعجاب المستحق بالوجه الحضاري لأمريكا، فالرفض المستحق أيضاً للوجه الإمبريالي كان هو موقف أكثرية الشعراء.. الأسوياء الأوفياء.

وحالما طغى الوجه الحضاري كان التماهي والانبهار التام هو موقف الشعراء، وحينما أسفرت آلة الحرب عن وجهها البشع كان الرفض وكانت المواجهة..^(١٢)

وقد مثل شعراء مصر المحدثون هذه المواقف المتباينة تمثيلاً صادقاً، فمرت مواقفهم تحولاتٌ تدور وفق ما طرأ على الواقع الأمريكي من تحولات.. وحينما كانت علاقة الأمريكان بمصر محصورة بالسياحة، يأتيها الأمريكان سائحين ليستمتعوا.. بجو مصر المثالي، إذ هي وستبقى بعون الله.. شمس الحضارة..

ودفع العشيرة.. وسلام الوفادة، حين ذاك كان الودُّ والتسامحُ والتماهى.
وربما كانت إشارة على الليثى (1230 هـ - 1313 هـ) قبل أكثر من مائة عام
في وصف سائحة أمريكية زارته في ضيعته ببلدة «الصف» أقدم إشارة تنتمي إلى
المدونة، وفيها يبدو الليثى مُرحبًا مُفتنًا مُبتهجًا بجمال الأمريكية البُوسَنيَّة « ولم
تقف اللغة حائلًا بين الشاعر والآخر.. إذ للجمال دهشته، وللانبهار غفلته! يقول:

وزائرة زارت على غير موعد	غريبة دار تتحى كلَّ مورد
تُبدى لنا وقت الظهيرة نورها	ونحن على روضي زها بالتورّد
من اللاء لم يدخلن مصر لحاجة	سوى رؤية الآثار في كل مشهد
لها في أميركا انتساب وداؤها	يُستأنّ، إذ تُعزى لمسقط مولد
فحيثُ وقالت والمترجمُ بيننا	لنا فأذنوا نحظى بروضكم الندى
فقلنا ونورُ البشر أزهَرُ بيننا	على الرحب والإقبال مشكورة اليد» ⁽¹³⁾

براءة الآخر كانت قائمة بالفعل، ولذا فلا عجب أن يكون موقف شعرائنا
حينذاك هو الترحيب بل والإعجاب والتقدير. وتدل عبارة «مشكورة اليد» على
حالة الانبهار بالآخر.. التي تلبّست بعض شعرائنا قديمًا، ويبدو أن المرأة الأمريكية
لجمالها السافر، قد خضعت لها أفئدة غير واحد من شعراء مصر المعاصرين، على
نحو ما نجد عند صالح جودت في «الحنان المصرية» متحدّثًا عن زيارته ل «سان
فرانسيسكو»، إذ يقول في قصيدته «ليلة في عمر الخيام»:

« قد تقاربن شبابًا وتخالفن جناسًا

فترى مخلوطة الألوان سمرًا خلاسا

وترى صينية/ ثم إفريقية/ ثم إيطالية/ ثم أمريكية»⁽¹⁴⁾

واللافت أن شعراء مصر الكبار في مطلع العصر الحديث قبل الثورة اتخذوا موقف المهادنة لا المواجهة، تكيّفًا مع الموقف الرسمي للملك من أمريكا، فاستمر الانبهار بكل ما تأتبه أمريكا من أفعال قامت بها مطلع القرن كتعليم البنات... ففى ديوان حافظ إبراهيم، قصيدة « كلية البنات الأمريكية » وقد « قالها في الحفل الذى أقامته الكلية لتوزيع الشهادات والجوائز على الفائزات ونشرت في 26 مايو 1928م » يقول في مطلعها: (13)

أى رجال الدنيا الجديدة مهلاً قد شأؤتم بالمعجزات الرجال
وفهمتم معنى الحياة فأرصد ثم عليها لكل نقصي كمالا
وحرصتم على العقول فحرّم ثم عصياً يراه قوم حلالا
والحق أن مشروع تجريم الخمر في أمريكا في حينه، قد فشل بعد إنفاقات مالية فيدرالية ضخمة، وهى على أية حال ليست مما يتباهى به مسلم، إذ حرمها بمنهج تدريجيّ حكيم فأضحى أثرها دون كلفة، حينما تعهد الوحىّ الوازع من داخل.. أما إعجاب الشاعر بمنجزات أمريكا الحضارية فمقبول منطقى إجمالاً كما في قوله:

قد تحدّيتُم المنية حتى همّ أن يغلب البقاء الزوالا
وطويتُم فرائس الأرض طيًّا ومشيتم على الهواء اختيالا
ثم سنّخرتم الرياح فُسّتم حيث شتم جنوبها والشمالا
تسرجون الهواء إن رتم السي روفى الأرض من يشد الرّحالا
وتخلّذتم موج الأثير بريدًا حين خلّتم أن البروق كسالى
ثم حاولتُم الكلام مع النجـ م فحملتُم الشماع مقالا

ثم يحكى عن التقدم التقنى الأمريكى في صناعة السيارات، والتنقيب عن المعادن والتطاول في البنيان فيقول:

ومحا (فورْد) آيَة المشي حتى شرع الناس ينبذون الثَّعَالَا
وانتزعتم من كلِّ شبرٍ بظهر ال أرضٍ أو بطنِها المحجبِ مالا
واقمتم في كل أرض صُروحًا تنطح السحبَ شامخاتٍ طوالا
ويشيد بالتقدم العلمي والإحاطة بأساليب التربة الحديثة للنشء فيقول:

وغرستم للعلم روضًا أنيقًا فوق دنيا الورى يمدُّ الظَّلَالَا
وحللتُم بأرضنا فعرنا كيف تُنمون بيننا الأطفالا
ورأينا النبات كيف يتَّقَفُ ن بعلم يزيدهن جمالا

وهو يعلن متمنيًا ما لم يتحقق بعد، وكاشفًا في الآن ذاته عن تماهي الحضاري بالآخر، بما يشكل لحظة استلاب وعى، إن حاق بالشعراء آل بأمتهم إلى مرتع وخيم من التبعية والتقدم.. يقول:

ليت شعرى متى أرى أرض مصر فى حمى الله تُنبِت الأبطالَا
وأرى أهلها يُياورنكم علمًا ووثنًا إلى المُلا ونضالا

أما أمير الشعراء فقد خاطب الرئيس الأمريكى «تيودور روزفلت» الكبير^(١٦) في طريق عودته من السودان إلى مصر بقصيدته (أنس الوجود) عندما زار مصر في مارس 1919 على نحوٍ مغايرٍ إلى حدٍّ ما، إذ الأمير معتزٌّ بآثار وطنه، لكنه لم يعترض أو يتطرق في شعره إلى تمجيد روزفلت للاحتلال أو معارضته لحركة المطالبة الدستور، فجاء شعر الأمير باهتًا من نوع وطنية متزوعة الدسم، وخطابية تشدو بعيدًا عن الميدان.. يقول لروزفلت:

أيها المتحى بأسوان دارا هل نسيتم ولاءنا والوداداً ⁽¹⁷⁾
غير أنه وحينما انحازت أمريكا لإسرائيل في حربها ضد الوطن والأمة..
وتوافق الجميع أمراء وشعراء على عدوانية أمريكا، سهل على الشعراء أن يعلنوا
عن بعض ما يعتقدون، وأن يروا أمريكا وإسرائيل في شعرهم صديقين حميمين
وحليفين أبديين على مصر ⁽¹⁸⁾ وهو الأمر الذي يصعبُ المعادلة.. وربما يبرر
الهزيمة.. إلى هذا يشير عبد اللطيف النشار؛ فيقول:

نحاربُ أمريكا ويزعمُ زاعمٌ بأن يهوداً حاربوا وتفوقوا
سواءً لدينا هذه مثلُ هذه ومؤمناً عند الجهاد موقفٌ ⁽¹⁹⁾

وقد بدا أن الوعي بحقيقة الأعداء سمة الشعراء الرواد ومنهم محمود غنيم،
الذي أمسك في شعره باللحظة التاريخية الراهنة، وأن إسرائيل صنعة وعد بلفور
ولقطة التواطؤ البريطاني، فهو في شعره يكشف رمزياً وجمالياً عن احتضان
انجلترا لوليد السفاح (إسرائيل) تلك التي (تحرّشت) بسيدة البحار.. ويتنبؤ أنها
سوف يطال عدوانها أمريكا مستقبلاً.. يقول:

من سَمَن الكلبُ أمسى منه معقوراً يا جيرة المنشي هذا كلبُ بلفورا
الذنبُ ذنبكم والكلبُ كلبكم ما زال يسمن حتى بات مسعوراً
عضُّ اليمين التي كم أطعمت فمهُ وكم سقته النعير العذب مقطورا
وسوف يعقر أمريكا بفيه غداً إن لم تُعدوا له قيّداً وساجورا
وسوف ينبُح من لاقى ويجرحه ما دام يلقى له ناباً وأظفورا ⁽²⁰⁾

ثم هو يكشف عن انحياز أمريكا الواضح ضد حقوق الأمة في قصيدته (في
مهرجان الجزائر) فيقول:

لله دُرٌّ فتى العرو بهُ يأسرُ ورجالُ يأسر
لا تطلبوا الإنصاف من قاضي بواشطنونَ جائر
لا تبسطوا الأعذار ما في الناسِ للمفلوبِ عاذر
الناسُ أنصار القويِّ وليس للضعفاءِ ناصر
لا تُوسموا الأقدارَ لو ما أو تقولوا الجُدَّ عائر (21)

وعرّض الشاعر على الجندي بالرموز الأمريكية في رئيسيها: «ويلسون، جونسون» وفي أسطولها السادس بالبحر المتوسط، في ديوانه (في ظلال القمر) فيقول:

إلى الميدان لا تخشوا به عُـددا ولا عـددا
ولا هـذيان من باتوا لكيدِ المُعتدى سندا
... ولا ما قال ويلسون يُحابى الزور والفندا
ولا أطيـار جـونسون تحوم بأنفـهم رصدا
ولا أسطولـه الساد سَ في الرومى مُحشدا
لقد خابت مساعيه وحلَّ اللـة ما عقدا
سيجنى إثم فعلته ويلقى حتفَهُ كـمدا (22)

واقتراب الشاعر من السلطان يمنعه أن يصدع بحقِّ إذا علمه، فالحسابات إذاك معقدة، والمصالح والمكاسب الشخصية لها حضورها المرُّ الأمر، فما يستطيع الشاعر فكاًكاً من الوفاء بكُلِّفة صحبة البلاط.. هذا دائم في حق الشعراء الكبار ممن يحالفون السلطان، أما المغمورون فهم لسان حال الجماهير، ليس لأحد عليهم فضلٌ، هم يتسمون بالحرية في قول ما يعتقدون.. ومن هؤلاء المغمورين في الأرض من الشعراء ممن صدحوا بما يؤمنون به، وعبروا عن غضبة الجماهير

الشاعر «كامل أمين»، إذ يكشف عن انخداع بعض الساسة بحيل الآخر، والتطيل له، كما يكشف عن الوجه العدواني الإمبريالي المستكن فيه، مجدداً آلام حروب المهذ الحاقق البائد... يقول:

جاء مشروعُ الفتى أيزنهوز	جاء مشروعُ النبی المنتظر
وفتى المشروع «دون كيشوت»	مثل «سجیع» السينما راعى البقر
يقذفُ المشروعُ كالحبل على	صيده إن كان خيلاً أم بقر
أو حكومات عرفناها كما	تُعرف المومس من جو البؤز
..السجیعُ الفارس المغوار جاء	من (تُكسّاس) كى يغزو القدر
بصقتُ في وجهه السودانُ والصّيد	فى (لبنان).. فى الماء العكر
وبقى اللعب على (الأردن) يا	بالويس الأردن السادس عشر ⁽²³⁾

ومن الشعراء الذين انحازوا لأمتهم فصعدوا بالحق، الشاعر الأكاديمي «حسين على محمد»، ففى ديوانه «المتنبى يشرب القوة فى فندق الرشيد».. يقول فى قصيدته «مرثية بغداد» معرضاً بالجبناء:

أنعى لكم بغداد..

وتسمعون صوتها الجريح كل لحظة فترسمون
فوق وجهكم ملامح الشهاد/ لكنكم فى كل ليلة - فى المُهْرِ - تسهرون
وتركون صوتها يضيّع فى الصخراء تعبون
من أجل بوش الصغير إن عَطَسَ⁽²⁴⁾

ومن الشعراء المعاصرين الذين وقعوا على الحقيقة وجهرها بها شعراً خالصاً لله والوطن الشاعر «عصام الغزالى»، الذى آمن بقدسية الشعر، وأنه لا يمكن أن

يخون أمته، أو أن يشجع على الفساد أو التبعية أو الخيانة.. فالشعر عنده يدُ تبني
المجد، أو يدُ تصنع النَّدْل، يقول قارئاً بين يهود والأمريكان:

والشعرُ ما أعطى اليهود ديارنا والأمريكانُ

والشعر ما فتح المدينة للجراذ وللدخانُ

والشعر ما مدَّ القروض لكل لص ألعبان

والشعر لم يحرق قطار العيد عند المزلقان (25)

وهو الذي يرى أن فساد بنى الجلدة أفضح في ويلاتهِ على الأمة من كذب
الأعداء وغدرهم.. يقول:

أنا قد أَصَدَّقُ كَذِبَ بوشٍ ولا أَصَدِّقُ هؤلاء

الكاذبين على العباد من الصباح إلى المساء

من علَّموا الناس النُّمَّا قَ لَمَن أخاف ومن أساء

بالروح والدم نفتديك وهكذا الأمم النُّشَاء (26)

وقد آمن بعض شعراء أن أمريكا عقبة كاداء في طريق نهوض الأمة، وأنه لن تنفصح
الغمة إلا بتعزيز الهوية، والاستقلال، والعزة، ومقاومة ظاهرة الاستلاب والتماهي مع
الآخر، يقول الدكتور سيد العفاني، كاشفاً عن هويته الكريمة الأبية المترفعة:

أنا جوادٌ عصيٌّ لا يطوِّعه بوخُ العناقيد أو عطرُ الهُنيَّات

أثبتُّ أركضُ والصحراء تبغني وأحرفُ الرمل تجري بين خطواتي

أثبتُّ أتنعلُ الآفاقُ أُنحها جرحي وأبحثُ فيها عن بداياتي (27)

ثم يعلن عن إيمانه بالأمل في غدٍ مشرق تتبدل فيه الأحوال.. فيقول:

فإذا ترين أمركا أن في غلينا عرسَ الليالي وأفراحَ السمواتِ

وهل علمتَ بنيرانِ مؤجَّجةٍ ومارِدٍ يحتويه الموسمُ الآتِي

لقد اتخذ الشعراء في أكثر الأحيان الموقف الإيجابي الذي يقتضيه الوازعُ
الإنساني حينًا، والواجبُ الوطني أحيانًا، فتسامحوا مع المتسامحين، وهادنوا
السلميين، كما في نص الليثى والجندي، فلما انكشف وجه العداء سافرًا، أعلن
الشعراء المواجهة، وفضحوا غدر الآخر وخيائنه وتعصبه وعنصريته في أدبٍ راقٍ
جماليٍّ، بعيدٍ عن الخطائية أو المباشرة، فوقَّوا أمتهم حقًّا كاملاً من إبداعهم،
وكفوا أنفسهم مذمة التاريخ وغضبة الإنسان.

■ الفصل الأول

الماهية

بلغت نصوص المدونة اثنتي عشرة قصيدة، وديوانين، أبدعها أحد عشر شاعرًا، تنوعت مشاربهم ومناحيهم الفكرية، فقد أسس الشعراء بنياتهم الشعرية وخطابهم للآخر أو عن الآخر الأمريكي على أسس قومية أو وطنية أو إسلامية أو إنسانية أو يسارية، ولئن تساوت نسب العمودي في القصائد إلى الحرّ ولكلّ يست، فإن المدى الشعري للحر يفوق العمودي بحسبان الأبيات والأسطر بكثير جدًّا، فعدّة أبيات العمودي لا تتجاوز 150 بيتًا في مقابل ما يزيد على الألف ومائتي سطر شعريّ حر.

وحينما يُضاف إلى ذلك أن الديوانين نُظما كاملين إلا قصيدة للجيار وحيدة على النهج الحر، يتضح بجلاء أن القالب الشعري الحر هو المهيمن على نصوص المدونة، وأكبر الظن أن لحدائية الموضوع صلةً بحدائية الإطار.

وقد حرص جميع الشعراء على الإعلان عن كنه المرسل إليه، أو المخاطب من عتبات العنوان فأمریکا حاضرة في عنواني الديوانين، والرئيس الأمريكي المعنى بالقصائد حاضرٌ فيها كذلك، ويبدو بوش الابن هو الأكثر حظوة وحضورًا بالمدونة؛ إذ له وحده خمسُ قصائد كاملة.

واختص «روزفلت» بقصيدتي الغاياتي العموديتين، وانفرد أيزنهاور وترومان بوحدة لكلّ، وجميعهم تأثرت قضايا الأمة في عهودهم سلبيًا، وضاعت حقوقها، وتلك القسمة غير الضيزى لمصلحة بوش عادلة، ومبررة، إذ إن اعتلاءه عرش أمريكا اقترن بالكشف عن وجهها الحقيقي الإمبريالي المهيمن، وعن نظام القطب

الأوحد، كما وافقت رئاسته حالة من الوعي الجمعي بين عموم العرب، ومبدعيها خاصة، يُضاف إلى ذلك ما توافر من جوِّ الحريات التي انتزعت بكثير من الأنحاء، مع فضائيات أسهمت في النقل اللحظي الحيِّ المباشر لما كان العلمُ به لا يكون إلا بعد سنوات!!

ويشارك الشعراءُ المغمورون إعلامياً (حسين نجم) الشعراءُ الرواد (الشرقاوي وجويذة وعواد) وربما شارك هؤلاء هؤلاء شعراءُ رساليون لا يتمون إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء كالدخشان وحسين علي محمد ومحمد الجيار.

م	القصيدة / الديوان	الشاعر	الآيات	نوع/عمود	الوزن	القافية
1	رسالة من شاب عربي	عبدالمعظم عواد يوسف	129	حر	رجز	
2	من أب مصري إلى الرئيس ترومان	عبد الرحمن الشرقاوي	389	حر	مغارب	
3	في وداع بوش	فاروق جويذة	370	حر	كامل	
4	رسالة إلى بوش من طفلة مسلمة بالبوسنة	فاروق جويذة	200	حر	كامل	
5	رسالة إلى بوش 6 روزفلت	جابر قمبيحة علي الغاياتي	77 33	عمودي	مشارك وافر	الميم والتون
7	إلى خطيب جولدهول	علي الغاياتي	09	عمودي	بسيط	
8	هوامش على دفتر النكسة الأمريكي	حسين نجم	95	حر	كامل	
9	جلاد الخريف (إلى بوش الصغير)	حسين علي محمد	45	حر	مشارك	
10	الاستماعة بأمریکا	عبد اللطيف النشار	07	عمودي	بسيط	

11	مشورة أمريكا	عبد اللطيف النشار	08	عمودى	يسيط
12	رسالة قصيرة إلى بوش	وحيد الدهشان	17	عمودى	مجزوء كامل
	الإجمالي		1379		
13	محاكمة أمريكا	محمد الجيار	20	نصاً	
14	في وصف أمريكا	أحمد تيمور	1585		

وقد تنوعت مشارب شعراء المدونة ومناحيهم، ويتنظم جميع شعير المدونة - وربما شعراءها على تحوُّلٍ ربما اقتضته طبيعة الموقف ومستجدات طرأت - تياران رئيسان، هما: تيار الهمس الرقيق، وتيار المواجهة (العتاب العنيف).

أولاً: تيار الهمس الرقيق

ليس الهمس الرقيق هنا وصفاً قيمياً، لكنه توصيف إبداعي، فليس كلُّ شاعر قد عرض للرمز الأمريكي مرة في شعره هامساً برقة، أصيلاً في هذا التيار، بحيث تُنزع عنه عباءة المقاومة والنضال، فقد يستوجب الموقفُ الإبداعي الهمسَ الرقيق في حين، والردُّ العنيف في حين آخر، فيستجيب هنا وهناك، وعليه فقد نرى شعراً لشاعر واحد هنا وفي تيار العتاب العنيف، والثابت أنه ليس في شعراء مصر من ظلَّ على همسه الرقيق في خطابه الشعري للرمز الأمريكي، قد يقرأ الشاعر بذلك المشهد السياسي العام، فيهدأ حيناً، ويعنفُ حيناً آخر، وربما يصمت في حين ثالث. وأغلب شعراء هذا التيار من المناضلين الذين تميزوا عن غيرهم باستحضار الرمز الأمريكي تيمة تيمات الفن الشعري، يسهم في استكمال المشهد الإبداعي، ويتميز بإسقاط دالٍّ يدل على وعى بالواقع وسمة نفسية تتمثل في الجرأة، هذا ما نجده عند فاروق جويدة في قصيدته (متى يفيق النائمون؟) وفيها يقول:

شهادونا في كلِّ شبرٍ / في البلاد يزمجرون

جاءوا صفوفاً يسألون / يا أيها الأحياء ماذا تفعلون؟

في كل يوم كالقطيع على المذابح تُصلبون / تسربون على جناح الليل

كالفئران سرّاً للذئاب تُهرولون / وأمام أمريكا

تُقام صلاتكم فتسبحون / وتطوف أعينكم على الدولار

فوق ربوعه الخضراء ييكي الساجدون / صوراً على الشاشات

جرذانٌ تُصافحُ بمصّها/ والناسُ من ألم الفجعة يضحكون^(١)
والشاعر هنا يستخدم الرمز الأمريكي تقنيةً فنية، ومن ثم فهو لا يمثل طرفاً رئيساً
من أطراف عملية التواصل على النحو الجاكسوني، فالطرفان الرئيسان هنا هما الشاعر
"الناطق الرسمي باسم الشهداء" والخانعون من العرب مهما علت مراتبهم أو سفلت
مواقعهم. ومن هذا النمط قول وحيد الدهشان في قصيدته "السفهاء"

" فالدين عند الله دينٌ واحد

لا يرتضى المولى سواه من الأنام على المدى

والجاهليون الذين تمرّدوا وتفرعنوا وتتمرّدوا

وتمرسكوا وتأمركوا وتقلبوا بين الأنام بلا هدى

خابت مساعيهم وخاب من اقتدى

وتسرّت أعمارهم من بين أيديهم سُدى/ وتشتّت أصواتهم

ما عاش في سمع الزمان لهم صدى/ وتضاءلوا.. وتضاءلوا

وتشكلوا في دفتر التاريخ

سطراً أسوداً"^(٢)

ومن ذلك ما جاء بقصيدة (جلاد الخريف: إلى بوش الصغير) وفيها يكشف

الشاعر عن تسامح الذات وطهارتها.. فيقول:

"نحنُ الشعبُ المتصرُّ بحول الله

نضيءُ مدائنَ عشقٍ تصدحُ باسم الله

نحرمُ أرضَ الشيشان وأفغانستان/ وكشمير
وبيتَ المقدس من أرجاسِ الداء/ نستخرجُ من تلك الآبار المهجورة
في أعماق الروح السمحة- / ماء الطهر/ ولا نعبأ بالأرزاء⁽³⁾
ومن ذلك تسامحُ "حسين نجم" مع الآخر عقب الثلاثاء الأسود، إذ يقول:
"وبرغم كلِّ جراحنا/ قلبي مَعَكَ"⁽⁴⁾

تيار المواجهة (العتاب العنيف)

يكشف أصحاب هذا التيار ويقوة عن الوجه الإمبريالي لأمريكا، دون مواربة أو مDAHنة، وأنصار هذا التيار وشعراؤه هم المنحازون إلى أوطانهم وإلى قضايا أمتهم، يمتزج في شعرهم الجمال الإبداعي بالفكرة، ويتمازج فيها الوطني بالقومي بالإسلامي (وربما بالذاتي) في إبداع تتوارى عن قائمته أسماء!! لأمعة نالت حظها موفوراً من الشهرة، وفي القلب من هذا التيار العاتي العاتب شعراء المدونة جميعهم. وقد أثبت الأكاديمي الشاعر "بسيم عبد العظيم" في شعره قذف الصحفي العراقي "متنظر الزيدي" بوش بالحذاء في المؤتمر الصحفي في قصيدته (قبلة الوداع) فقال:

” يا من أصمَّ الأذنَ دون ندائي	وأباح جرضي واستباح دمائي
هل جنت تشمت بي وتعلن هازناً	عن قهر جزى واغتياي إبانِي
أتى اتجهت بأرضٍ يترَّب لن ترى	إلا رجالاً يهتفون ورائي
وقد وكُلُونِي عنهم في قُبْلَةٍ	لوداهكم هي رميةً بحذائي “

وفي الشعر المصري الحديث يبدو الرمزان الأمريكي والصهيوني وجهين لعملة واحدة، تُمثِّل العدوان، وقد بدت مواجهة الشعراء المصريين في حين بحلبة الشعر عنيفة، وكأنها بديل عن مواجهة رسمية لعدوانية الآخر على نحو ما نفهم من شعر الدهشان حين قال:

شاروئُ بوش بعين كل شعوبنا	وجهان فوقهما علاماتُ الخطأ
إننا لنبصقُ عند ذكرِ كليهما	ونقول هذا الفعل من ذاك الوطأ“

وعلى هذا النحو اقترن الحديث عن أمريكا بإسرائيل، فهما على الحقيقة حليفان استراتيجيان، تُعاني من شراكتهما الأمة في كل آن، تؤكد ذلك قضية

فلسطين وإشكالاتها المستعصية، اللاجئين والأسرى.. وفي قصيدته "إن هان الأقصى يهون العمر" لفاروق جويده في ديوانه (زمان القهر علمني) يقول عن هذا التحالف وأنه مسئول عن ضياعنا وإذلالنا:

"باعونا يوماً يا ولدي/ في كل مرّاد/ اسأل أرشيف المأجورين
وفتّش أوراق الجلاّد/ اسأل أمريكا يا ولدي/ واسأل أذنان الموساد
إن نار حريق في الأعماق/ يثور الكهنة والأوغاد/ فتصير النار ظلال رماد"^(٧)
إن تبعية بعض الحكام العرب ورضوخ بعضهم لإملاءات الآخر، رغباً ورهباً..
قد أفرغ الشعراء الرسالين، فنالوا من هذا النوع المنبسط، فإذا هم عند الشعراء مطايا
خائعون، إذ يرفعون دعاءهم خوفاً ورجاء للإله، لمن يملك فصل الخطاب. يرسم "عبد
الحميد فارس"^(٨) صورة لأصناف هؤلاء.. الحكام.. المحكومين بقبضة أمريكا.. فإذا
هم عابدون للسيد اللوذع.. يتقربون، ويلحون.. ويؤدبون.. ويقدر ذلهم أمام الآخر
يستذلون شعوبهم، ويقدر مكاسبهم الذاتية تخسر أوطانهم وشعوبهم.. يقول:

ولئى الأمر أمريكا	لهادعوائهم تُرفغ
ترى الزعماء طوفانا	إذا همّت بأن تجمع
فهذا جاء معنذراً	وذاك أتى له يشفع
وذا قد جاء مُلتَمِّساً	مباركة هي الأنفع
وذاك لديه قربان	يقرب به وذا الأخضع
وأخضر ضارغ يدعو	لعمل السيد اللوذع
رئيس الدولة العظمى	له يحمى له يمنع
ويمدّ من عباءته	وكل (فتورة) تُدفع ^(٩)

إن بعض الحكام يبدون عبادة خاشعين في محراب أمريكا.. الغالبة! القاهرة!

فهى كالإله لديهم، يشير إلى تطواف القوم بكعبة أمريكا وخشوع الحكام بحضرتها واعتكافهم بمجلسها، فيقول أحمد فتحي الدهشان:

إلهى كيف يأتى الشعرُ سهلاً وكيف أقول شعراً لا يخاف؟
وأمرىكا إذا نادَتْ لقومى تباروا حول كمبتها وطافوا
.. لها فيتو إذا ما فاتت فينا يُفْتَنَّا، فوجدتُنا اختلافُ
لها كلُّ الحقوق ونحن لسنا سوى حقٍّ بجعبتها يُضاف
وحكام لنا مرضى إذا ما تعاطوا خبز نعمتها تعافوا
فوقفتهم بحضرتها خشوعٌ وجلستهم بمجلسها اعتكاف^(١٠)

إن الشاعر المصري يرى في مسلك بعض حكام المنطقة ما يشبه مسلك أهل مكة تجاه دعوة التوحيد، فإله هو من يطلبون إليه النجاة.. يدعونه مضطرين، أمنا العزى.. العزيرة! فهي من يطلب إليها قضاء الحاجات! يقارن "السيد جلال" بين هؤلاء وأولئك فيقول عن مشركى مكة:

فما حننوا كإبراهيم أو صاروا كأهل كتاب
يكون الله للنجوى لِمُرِّي تُرفع الأسباب
كما إننا لَناربُّ وأمريكا لفصل خطاب^(١١)

والأمل في تصحيح الأوضاع مرهونٌ عند الدهشان بقاء قادرين على التمرد والخروج عن الطاعة، والانسلاخ من فلك الرمز الأمريكى، على نحو ما يفعل شهداء الأقصى، أمثال الرنتيسي، وفى رثائه يقول:

سيظل صوتك حادياً لجهادنا وبقلبٍ مَن تلتوك كالإعصار
وغداً وجودُ لنا الزمانُ بقادةٍ لا يجمعون لفرقةٍ وقرار

ليسوا بقبضة أيّ بوش كالذئبي يتحركون بمقتضى الأدوار
 وغدا سيخرج من ظلام ربوعنا ويأذن ربي ألف ألف نهار⁽¹²⁾
 وقد يبلغ استخفاف الشاعر بالآخر الأمريكي حد السباب والإهانة الواضحة،
 على نحو ما فعل على الغاياتي، إذ يقول لروزفلت:

لعمركَ لستَ بالرجل الهُمام إذا هُدَّ الهُمام من الكرام
 كرائم الناس أصدقُهم حديثاً وأبعدُ عن أكاذيب اللثام
 فما لك لم تَقُم في النيل إلا لتُسمعنا أباطيل الكلام⁽¹³⁾
 وقريب من ذلك قول عبد المنعم عواد يوسف في قصيدته "رسالة من شاب عربي.."
 في الغاب يا رئيس تمرُّ الذئاب
 وفي الظلام تنبُح الكلاب
 وفي الرياض تعبقُ الورود والزهور
 وتشد الطيورُ أَلحانها العذاب

والشرق يا رئيس كلُّه رياضُ / وقتية- يا أيها الرحيم- تحرسُ الحياض⁽¹⁴⁾
 وداخل إطار تيار المواجهة، بدت عدة ملامح جامعة بين شعراء التيار بالمدونة،
 وقد تمثلت تلك القواسم المشتركة بينهم في:

1. الإمساك باللحظة التاريخية، ومواجهة الآخر بجرائمه وفظائمه وحقيقة قهره للشعوب.
2. وضوح البعد الإنساني تسامحاً ورغبة في التعايش وكذا الانشغال بالمستقبل متحلاً في العناية بالطفولة.
3. حضور الدين.

أولاً: الإمساك باللمحة التاريخية ومواجهة الآخر بجرائمه

تميز شعر المدونة أنه في الغالب لم يواجه شاعرٌ من شعرائها رئيساً أمريكياً لم يعاصره، فاكسب الخطاب شعرياً مصداقية، حفظاً صاحبها من تهويمات الشعراء يسير، خاصة حين يتأتى الإبداع مكلوماً لقضايا إنسانية عادلة قومية وطنية باتت معلقة، تعترض طريقَ فُضِّ اشتباكاتهما رغباتُ الآخر وقراراتُ تدعمها عمالاتٌ وعمولات.

ومع إيماني بأن الشعر يختلف عن التاريخ، وأن التاريخ بالشعر أمر ينبغي الحذر معه، بحيث لا يمكن أن يُنظر إلى الشعر الحديث بما هو مصدر وحيد للتاريخ لللمحة، وما يجعلنا في غير ما حذر صارفٍ عن هذا الشعر المؤرخ لللمحة التاريخية، أننا (نقاداً ومتلقين ومصريين) شركاء مع الشعراء في المعاصرة، كما أن روح الشعر "لا تتألف في تدوين التاريخ من خيال يطوف في الفضاء ولكنها تتألف من خيال يقتضي أثر الحقيقة ويلتصق بها، وبالنظر إلى أن الحقيقة قد وقعت فعلاً، فإنها تجمع حولها سر الحياة والموت والزمن الذي لا يسبر غوره، فعلم المؤرخ وبحثه يجدان الحقيقة، وخياله وفنه يوضحان مدلولها" (١٥)

ف "على الغاياتي" حينما طال شعره الرمز الأمريكي، عرف برمزٍ من رؤساء أمريكا الرواد هما "وشنجتون وجفرسون" فقال:

فقام "وَيْنْجُون" يقود منكم لبوئنا للنجاة والانقسام
فأدرك ما يرجّيه وأجلى أعاديكم بجالية السطام
ووالاه "جَفْرُسْن" مستذلاً بسطوة عزّه صعب المرام ⁽¹⁶⁾

وقد اقتضى الإمساك باللحظة تذكير الآخر، وذلك بالتيه على جرائمه
في حق الإنسانية عامة، والعرب خاصة، والمصريين بشكل أكثر خصوصية،
فجرائم الآخر بالشرق الآسيوي الأقصى من مآسي القرن المنصرم التي عاينها
شعراء المدونة، إذ هالهم ما اقترفته يد الآخر، فهبوا ينصحوه.. على نحو ما
عدّد "الشرقاوي" بنود سجل دمويّ حاقّد أسود، نال عديداً من الأمم.. يقول
مخاطباً "ترومان":

حكمت على الصين ألا تكون - فصارت هباءً كأن لم تكن!!

وأنت أبدت بكوريا الحياةً بقتلة وزئها ألف طن!!

وصرت "بيونان" فالكأئها/ وأرجعت للشمس ياباتها

ووليت "مدريد" ثيرانها

وخاتلت مصر وسودانها

وأنت أقت (بروما) الأمور وأمسكت ميزانها فاطمان

وفى ذوقك الرائع المتقى مضيت توشّي لمصر الكفن

وأشهد كم روجّ الأنبياء هنا لاقتدارك في كل فن

بأمرك تضطرب الحادثات وباسمك يمضي ركاب المحن ⁽¹⁷⁾

وبالنص يبدو أنه لم تسلم قارة من قارات العالم من بطش هذا الآخر وعدوانه،
فسجله حافلٌ بجرائمه.. إنه حقاً ركاب المحن!

وجريمة الآخر "بهيروشيما ونجازاكي" هي بحق الأبرع في تاريخ البشرية، وفي نص "جابر قميحة" سجلٌ عامرٌ يستنكر فيه الشاعرُ على الآخر سوءَ عمله أولاً بجريمته في اليابان فيقول:

هل تذكرُ نكبةَ هيروشيما	فجّرتُم فيها الذرّة؟
وكذلك نكبةَ "نجازاكي"	لم تُبقوا فيها ذرّة؟
لم تُبقوا أثرَ الحياةِ	بل رعباً هز البشرية ^(١١)
ثم يقفه أمامَ فظائعه بوطننا العربي في أقصى وفي لبنان، فيقول:	
تلعنكم صبرا وشاتيلا	ومذابحُ بيروت وقانا
ولعنتم في كلِّ كتاب	إنجيلا كان وقرآنا..
وزعمتم من أجل سلام	ووثامٍ جئتم لبنانا
فجعلتم لبنانَ شقاء	وغرستم فيه الأشجانا
وزعمتم فتناً عمياء	ناصرتم فيها الشيطانا

وقد كشف "جريدة" في شعره عن مأساة البوسنة، عن حجم الدمار الشامل الذي أوقعه الغربُ بها، وصمت الآخر المفضوح عن الجريمة، فقال على لسان طفلة البوسنة.

يا سيدى بوش العظيم/ أرجوك يا مولائى/ أن تحمى بكارة طفلةٍ
من رجسي أشباه الرجال/ الآن نأكلنا ذنابَ الغدر

تموى في بيوت الله/ أشباحُ الضلال/ بيديك يا مولائى

أن تحمى عيونَ صغيرةٍ/ من قال يا مولائى/ إن دماء أطفال يتامى

في شريعتكم حلال؟" (١٢)

أما غزو العراق بكذبة الأسلحة الكيماوية ففضيحة الآخر الكبرى في الربيع

الآخر من القرن بامتياز، وقد تواتر على التنديد بها أكثر من شاعر، يقول عنها فاروق جويده مستكراً:

ماذا تركت الآن في بغداد من / ذكرى / على وجه الجداول
غير دمع كلما اختنقت بسيل / صمت الشواطئ.. وحشة المدن / الحزينة /
بؤس أطفال صغار / أمهات في الثرى الدامي / صراخ أو عويل
طفل يفتش في ظلام الليل / عن بيت توارى / يسأل الأطلال في فزع /
ولا يجد الدليل “ (20)

ويقول عنها “حسين على محمد” متهمًا بيوش الصغير الرمز الذي تولى كبر الحرب الكونية على العراق، وفاضحًا عمالات البعض وخضوع الأكثرية:

أنعى لكم بغداد
وأنتمو يا أيها الأوغادُ تأكلون تشربون تضحكون
وتسمعون صوتها الجريح كل لحظة فترسمون
فوق وجهكم ملامح السهاد
لكنكم في كل ليلة - في العهر - تسهرون
من أجل “بوش” الصغير إن عطس “ (21)

ويعرض محمد الجيار في رائعته “محاكمة أمريكا” لجرائمها بأسلوب شعري أخاذ فيقول كاشفاً عن منحى يساري فكري واضح، حين عني كثيراً بمآسي أمريكا مع البلدان الاشتراكية، وذلك في قالب حوارى عبر مشهد مسرحي جرى بين طيار أمريكي وأشباح ضحاياه:

” الطيار (صارخًا): موتى؟ موتى؟ موتى؟

: من أى فضاء جئتم؟

من هوروشىما	شيخ
من أركاديا	شيخ
من أحداق الموت بكوريا	شيخ
من رعشات الأم بكوريا	شيخ
من بين كهوف النار بفيتنام	شيخ
من أمريكا اللاتينية“ (22)	شيخ

ثم هو يكشف كاشتراكي يكفر بالرأسمالية عن أطماع الآخر الأمريكي في
المقدّرات الاقتصادية للشعوب، وبخاصة البترول، فيقول:

” لكنّ لأمرىكا شغفًا بدم الأحراز/ تصنع منه زيوت الآله
يلمع في دفق البترول“ (23)

ولقد كان دعم الآخر للصهيونية ورعايته الدائمة لها أحد أهم ملهيات الشعراء،
ففضحوا هذا التحيز الواضح. يقول الجيار في صورة شعرية تتسم بالتكثيف اللغوي
مع الوضوح الدلالي وفي مفارقة لا يؤتاها إلا المبدعون الرساليون:

كان الحفلُ الأول في ميلادك يا أمريكا
حيث شربتِ النخبَ الظافر في جمجمة الطفل/ وعظام الموتى عكاؤك
لكنّ الحقدَ بنار الحقد يموت
والشجر الناقم للحطاب هو.. التابوت

يا حفار القرن العشرين.. يا بائع أسنان الموتى لعجوز من صهيون (24)
وهو يكشف في موضع آخر عن حقيقة الأمر المتمثل في خضوع الآخر لمطامع

الصهيونية فيقول في مشهد مسرحي آخر:

الأشباح: كل أفاعى الصهيونية

الطيّار: كانت تقتل من يتمرّد من رفقاتى

قالوا نحن يهود الأرض سنغزو هذا العالم/

بفلسطين ستزحف دورًا ينهش جسد الدنيا..

الأشباح: أنتم أسرى الصهيونية⁽²⁵⁾

أما الحرية التى يتشدّق بها الآخر، فلم يرها تيمور من فضائل الآخر، إذ يعرّض
بتمثال الحرية بنيويورك.. فيقول:

”خاصمتُ هذه المدينة التى/ تعتقل الإنسان

فى مكعبٍ من القرميد: فوق جانبى كلّ جزيرة/ مُعراة/ مسمّاة بمانهاتن

وتمنح الحرية التمثال/ مُطلقا سنا شعلتها بكفِّه اليمين⁽²⁶⁾

ثانيًا : البعد الإنساني والانشغال بالطفولة

حظى البعدُ الإنساني في شعر المدونة في مقابل عدوانية الآخر وعنصريته بحضور واضح فشعراء المدونة يعلنون من شأن الجانب الإنساني، ويكرهون التمييز، ويقدمون حق الآخر في الحياة.. يقول "جريدة":

يا سيدى بوش العظيم/ في أرضنا حلمٌ وفى أوطاننا/ شعبٌ يغنى الحب
ينعم بالخيال/ لا فرق في أوطاننا/ بين الصليب أو الهلال/
فالدين دينُ الله تحملهُ جوانحُنَا/ بكلِّ الحبِّ فينا والجلالُ/ عشنا مع الأيام أحبابا
نداوى الجرح/ نفتسم الرغيفَ المرَّ/ نسكُرُ بالجمالُ"⁽²⁷⁾

وقد فضح جريدة عدم إنسانية الآخر، وإدماته التمييز بين بني الإنسان خاصة بحسبان الدين، فهو المفرق الداعم للتمييز، بخلاف الشعراء، يقول:

الوافدون أمام بيتك/ يرفعون رؤوسهم/ وتطلُّ أيديهم من الأكفان
مازلت تسأل عن ديانتهم/ وأين الشيخُ.. والقديس.. والرهبان؟
هذى أياديهم تصافح بعضُها/ وتعود ترفع راية العصيان/
يتظاهر العربيُّ.. والغربي/ والقبلى والبوذي/ ضد مجازر الشيطان (28)
وقد دعا "عواد" إلى التعايش والسلمية حين خاطب أيزنهاور.. فقال:

فباسم والدى الذى يؤدُّ أن يعيش كى يرى أطفاله رجالا

وباسم أمى التى تود أن تعيش كى ترى لابنها أطفالا

من أجل أن نعش جنب بعضُ

من أجل أن يظل في القلوب نبضُ

وللطفولة رامةٌ للمستقبل والامتداد والإنسانية والبراءة حضورٌ بالمدونة، بدا معه العدوانُ عليها عدوانًا لا إنسانيًا يتسم مقترفُهُ بالوحشية وتهديد الجنس

البشري، وذكرُ الشعراء الأطفال لم يكن بحالٍ استرحامًا أو استعطافًا، وإنما كان فضحًا لممارسات لم يعد يجدي معها الحديثُ عن حقوق الإنسان.. ونصُّ جريدة عن الطفلة البوسنية وثيقةٌ تاريخيةٌ فاضحةٌ للآخر، يقول على لسانها:

يا سيدى بوش العظيم / أرجوك يا مولاي / أن تحمى بكارة طفلة
من رجس أشباه الرجال / الآن تأكلنا ذئاب الغدر

تعوى في بيوت الله / أشباح الضلال / بيدك يا مولاي
أن تحمى عيون صغيرة / من قال يا مولاي / إن دماء أطفال ينامى / في شريعتكم حلال
وحينما يمتنع عن دفع الأذى من يملك ذلك، فإنه متجرد من إنسانية مُدعاة،
وحقوق الإنسان لا تعدو أن تكون مُدعاة.

إن الآخر لم يتحرك لمآسي الأطفال في غزة، ولذا يتهمكم جريدة به على نحو
رمزي لا يستر من سوءة الجاني شيئًا، بقدر ما يعرّيه، يقول:

أطفالُ غزة يرسمون على / تراها ألفَ وجهٍ للرحيل / وألفَ وجهٍ للألم
الموتُ حاصرهم فقاموا في القبور / وعانقوا أشلاءهم / لكنَّ صوتَ الحق
فيهم لم ينم

يحكون عن ذنبٍ حقير / أطلق الفئران يومًا في المدينة / ثم أسكره الدمار
مضى سعيًا.. وابتسم

ويفضح قميحة خلل الآخر في ترتيب أولياته التى تتسم بالأنانية والعدوانية،
حين لا يرعى إلا مصلحة الذات، وليحيا الباقون موتى، أو ليموتوا أحياء.. يقول
عائبا على سياسات الآخر المالية:

يا ليت ملايينك كانت	لشموبٍ يقتلها الجُوع
ما فيها إلا مظلومٌ	ويتيمٌ وأبٌ مفجوع
وبقايا أطفالٍ هاموا	ينقلهم مرضٌ ودموع ⁽²⁹⁾

ثالثاً، حضور الدين

الثابت أن الأديان لها أثر جوهري في الصراع الحضاري، يخفت هذا الأثر حيناً، لكنه يبقى قائماً في كل العصور، والثابت أيضاً أنه لم يكن دافع لعدوان الضرب على البوسنة، وامتناع الآخر عن التدخل إلا لإسلام البوسنة.. يشير جريدة إلى ذلك.. فيقول:

لم يبقَ من أشلاء بوسنة/ غيرَ خوف أو سؤال
لِمَ لا نعيشُ بأرضنا/ لم لا تظلُّ منابرُ الإسلام تاجاً بيتنا
جنتنا إلى الدنيا/ رأينا الحب يسكن كلَّ شيءٍ حولنا
ما ذنبُنا؟/ ما ذنبُنا؟/ ما ذنبُنا؟

وقد حصر بعضُ شعراء المدونة باعث عدوانية الآخر على أمة الذات المبدعة في الإسلام، ذنب الأمة عند الآخر كما قال "قميحة":

وزعمت بأنِّي إرهابي وبأنِّي دمويٌّ مجرم
وبأنِّي عاملٌ تخريبٍ وبأنِّي رجميٌّ مظلم
وكذبتْ فذنبِي تعرفه هو أني عربيٌّ مسلم
أما الدين عند الآخر في حياته فهامشيٌّ لا بالمتن، ذلك ما يؤكدُه بعد معايشة، أحمد تيمور، إذ يقول:

أمريكا.. كنيسةٌ قبابها/ من ذهب معاليج بحامضي/ تلتقاه إن أنت اخترته
يفعل نقطتي عبّاد شمس قلوئ/ كنيسة صليها/ فرع هوائِي
لرصد قمر مجوّف من النحاس الفُستق/ كنيسة/ من أتقن الصلاة/
في محرابها الصليب الذي لا يعرف الصدا/ يصير قسّها النبيّ⁽³⁰⁾

■ الفصل الثاني

فن التقنيات الشعرية في خطاب الآخر الأمريكي

تآزر في الفن الخالد الرؤية والأداة، وفي الشعر تتأسس لغته لا محالة على رؤية الشاعر لذاته والآخر، للكون والحياة.. وربما ما وراءهما من غيب.. فالرؤية الفكرية مع التشكيل الجمالي عنصران لا يتصارعان في الشعر، وإنما يتكاملان على نحو يرقى بالنص ويؤول إلى صالح المتلقي.. والثابت أن "اقتناع الشاعر بفكرته، ووضوح رؤيته، يؤثر في مقدرته الفنية على انتخاب عناصر بعينها من عناصر الإبداع" (1)

وتكمن أهمية التقنيات الشعرية في أنها مناط التميز بين المبدعين، وكما قال الجاحظ قديماً "المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي والبدوي والقروي والمدني، وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ، وسهولة المخرج وكثرة الماء وفي صحة الطبع وجودة السبك، فإنما الشعر صناعة وضرب من النسيج، وجنس من التصوير" (2)

إن التعاون والمشاركة، وليس الإقصاء والمعاركة هو ما يمكن أن يعبر عن حقيقة الفن الخالد، في علاقة الشكل بالمضمون، نعم إن النقد الحديث الوافد إلينا من الآخر ربما لا يعبأ بالقيم كثيراً ولا يهتم للأفكار والرؤى، أو الأخلاق والدين، لكن الفكرة والموضوع تظلان من مكونات النص الأدبي الأصيل.

الرؤية أو الفكرة عنصر تأسيسية في رأيي، دون أن يكون المقصود تقدمها على أدوات التشكيل الجمالي، أو إهمال هذه الأدوات لصالحه.

وقد ذهب بعض النقاد إلى اعتبار الرؤيا الفكرية جزءاً من قيمة الشعر الفنية.

ولقد احتشد الشعراء في المدونة بأدواتهم الفنية، وتقنياتهم الإبداعية احتشادًا في وجه الآخر الأمريكي، ربما مثل تعويضًا ما عن فقر الأمة الواضح في امتلاك أدوات المواجهة المفروضة علينا من الآخر. وقد كان هذا الاحتشاد الفني السبيل الأقوم إلى إبلاغية الرسالة الإبداعية، بحيث اتخذ الشاعر كل مسار يسعفه على أداء رسالته الإبداعية جليةً جميلةً، إلى المعنى بها يستوي في ذلك المتلقي الخاص "الرمز، الرئيس الأمريكي" والمتلقي العام "الأمة العربية والإسلامية وربما الشرق".

وتمثل أبرز تقنيات الخطاب الشعري في خطاب الآخر الأمريكي في:
التباين والتشاكل: (المقابلة والمفارقة والتكرار): "الوضوح والمواجهة"

النفي (المقاومة بالرفض)

الإنشاء (المخاصمة والسخرية)

التناص (الأصالة والفضح)

الصورة (التجسيد والفضح)

الإيقاع: "القناعة (الذات) والإقناع (الآخر)"

وينبغي التفتُّنُ إلى أن كثيرًا من شعراء المدونة لم ينالوا حفظًا من شهرة، إذ هم ليسوا من نجوم الإعلام وليسوا في دائرة الضوء التي يكثر عن أصحابها الدراسات والبحوث والندوات والاحتفائيات.. وما ضرَّهم أن كانوا مغمورين.. ويقتضي الإنصاف هنا الإشادة بهؤلاء ليس لانحيازهم الوطني والفكري فحسب، بل إشادة بموهبتهم، وأصالة طبعهم، وجمال شعرهم.

التشاكل والتباين

يبدو التشاكل والتباين خاصةً أصيلةً وفاعلةً في شعر المدونة، فالشعراء متنوعون مختلفون، يتفقون على قضية واحدة.. والتشاكل والتباين عامَّان يشملان كل أنواع السلوك ومنها اللغوي، إذ "إن الظواهر العالمية والسلوك الإنساني يتحكم فيها مبدآن: التشاكل والتباين" (3)

وبالنظر في إطار المدونة الشعرية، فإن تشاكلاً وتبايناً يبدوان متحققين، ففي حين يتحقق التشاكل في أبرز ملامحه في أحادية الموضوع، فإن التباين يبدو أصيلاً مع اختلاف البصمات الأسلوبية والمنحى التعبيري. وقد بدا التشاكل والتباين خاصةً أسلوبية مائزة عند تيمور، واستثمرها رفاقه كذلك، لكنه الأبرز من بينهم في تطويع قدراتها واستثمار تقنياتها، يقول في مفتاح الديوان:

أمركا/ رعاة أبقار بغير قُبعات/

واقفون يرشفون قهوةً ساخنة على عَجَلٍ

وجالسون يحتسون قهوةً ساخنة على مَهَلٍ

ونائمون يحلمون ببخار البن (4)

في السطرين الثالث والرابع تبدو الخاصة الأسلوبية في شقها التشاكلي بارزةً وفاعلةً عزز تكرار التركيب من تناغمها، وموسيقية الموقع، إذ يجري على نسق:

(اسم فاعل نكرة لجمع الذكور + فعل مضارع من الأفعال الخمسة متصل بواو الجماعة مرفوع بثبوت النون + مفعول لنكرة موصوفة ثم الجار على "هذا التعبير في البيتين هو هو بالدوال ذاتها" + نكرة مجرورة "واصفه" زنتها "فَعَلْ").

والتشاكل من الوجهة الشكلية مطلق إلا من زيادة عاطف (الواو) من السطر الثاني فعلى المستوى الرأسي يتشاكل كل متناظرين من الوجهة الصرفية والصوتية، فضلاً عن تكرير التعبير: (قهوة ساخنة على)

ويبقى التخالف الدلالي - وإن بدرجة أقل - هو ظهير التباين الأبرز، فواقفون دلاليًا تخالف "جالسون" كما أن الدال "يرشفون" يختلف عن "يحتسون" في الأول تمثل السرعة.. والصوتية، وفي الثاني العكس، وقد عزز المجروران "عجل و مهل" تباين السرعة والتمهل المفهوم من الفعلين.

والبناء التعبيري على هذا النسق متسق دقيق، بقدر ما هو جميل أما البيت الأخير فيبدو متوازنًا في تشاكله وتباينه مع سابقه؛ فالدال الأول يتشاكل رسمًا وصوتًا مع نظيره السابق، في حين أنه يتباين دلاليًا مع سابقه اليقظين على أية حال! وهي العلاقة ذاتها التي تربط الدال الثاني "يحلُمون" اللاواعي أو السلبي بنظيره الإيجابيين الكاشفين عن فعلٍ واعٍ.

والمفارقة الأخيرة المعززة لهذا التباين بين السطر الخامس وسابقه تنطلق عن مغامرة التعبير التكراري الثلاثي، بالتعبير المباين (ببخار البن) المختلف ترتيبًا ولفظًا وإعرابًا وهيئة.

أما الترتيب؛ فالجبار هنا افتتاحي متقدم وهناك ختامي متأخر. وأما الإعراب؛ فالحذف هنا والإضافة هي العلاقة الضابطة لدوال التعبير، والنصب هناك والتبعية هي الإطار الحاكم لدوال التعبير. وأما الهيئة؛ فالتعريف هنا بالإضافة، والتخصيص هناك من طريق النعت، وربما كان التعريف هنا محاولة لتضيق الفجوة الدلالية بين المرئىف المحتسَى (حياتًا) والمعلوم به (تصورًا وحياتًا).

التكرار

يمثل التكرار مظهرًا من مظاهر التشاكل اللغوي، ويعد بالمدونة ظاهرة بارزة، والتكرار من الخصائص الملازمة للشعر، خاصة الحديث، وتكمن أهمية التكرار بالنص الشعري في كونه أحد البنيات الأسلوبية التي يمكنها العمل على مستويات عدة، دلالية وصوتية ونصية، فإن "بنية التكرار من أخطر البنى التي تعمل على المستوى الصوتي كعملها على المستوى الدلالي" ^(٥) هذا فضلًا عن دور التكرار في الكشف عما يشغل الشاعر ويهيمن على شعوره.

وتمثل تقنية التكرار في شعر المدونة ظاهرةً تتعدد أنماطها وتتنوع مقاصدها الدلالية، إذ يؤدي أدوارًا تعبيرية واضحة (تكرار لفظة ما أو عبارة ما يوحي بشكل أولي بسيطرة هذا العنصر المكرر وإلحاحه على فكر الشاعر أو شعوره أو لا شعوره، ومن ثم فهو لا يفتأ ينبثق في أفق رؤياه من لحظة لأخرى) ^(٦)

والتكرار إذن يسلط الضوء على نقطة هامة لها خصوصيتها في نقل رسالة المبدع أو التعبير عن موقفه. فالتكرار (في حقيقته إلحاح على جهة هامة في العبارة يُعنى بها الشاعر أكثر من عنايته بسواها) ^(٧)

وقد كرّر الشاعر بالمدونة الصوت، والكلمة، والعبارة والشرط والمقطع، كما كرر التركيب، ومن تكريره الحروف (الأصوات) قول جويده:

مهما اعتذرت أمام شعبك / لن يُقيدك الاعتذار

ولمن يكون الاعتذار؟ / للأرض.. للطرق.. للأحياء

للموتى.. / وللمدن العتيقة.. للصغار؟ ^(٨)

وجويده هنا يتوسل بتقنية التكرار ليكشف عن حجم المأساة، فيعدد من جنا

عليهم الآخر.. فالشاعر يكرر حرف (صوت) اللام ويؤثره على أدوات العطف لأنها تربط الدوال المجرورة بمهادها الاستفهامي الأول (لمن يكون الاعتذار)، فيظل في حنين متصل إليه. فضلاً عن أن إسقاط الروابط هنا يعزز من شأن الراضين للاعتذار. فكل رافض محطة "مستقلة يدعم استقلالها نقطتان أفقيتان تلازمان الدالّ دائماً. مع إمكانية المجيء بالعاطف الواو بدلاً عن تكرير اللام من الوجهة العروضية (يلاحظ مجيء الواو مع المدن العتيقة للغرض الإيقاعي ذاته) واردة فإن الاختيار يبقى ذا دلالة. فهو اختيار حرّ وليس اضطرارياً. ومن الجلي أن المعنى المطروح سيفقد كثيراً من بهائه لو قال الشاعر:

لمن يكون الاعتذار؟

للأرض والطرق والحياء

والموتى

وللمدن العتيقة والصغار

فتكرار اللام أشخاص الدوال، كل بمفرده، يبدو رافضاً للاعتذار، فاعلاً في تشكيل الرسالة، وهو ما يخفت أثره كثيراً مع العطف والوصل.

ولئن بدا أن الراضين يجمعهم جميعاً مجالان دلاليان هما: الأرض "الطرق، المدن العتيقة" والإنسان "الأحياء والموتى، والصغار" فإن تشتتها في الواقع المرير، ورغبة الشاعر في استقلاليتها أسقط أدوات الربط اللفظية وكرر اللام.

ومن نماذج تكرير الكلمة تكريراً يعكس إحساس الشاعر وعواطفه قول الشرقاوي:

"فإن كنتُ يا سيدي قد أطلتُ، وقد سقت هذا الحديث الحزين

فإني حزين/ حزين شقيُّ يُعْدِ ابْتِئاساً / حزينٌ أخاف عليها المصير"⁽⁹⁾

والحزن هنا لبعد الابنة كاد يطل برأسه بين السطور، فالحديث حزين، والأب حزين شقي، وحزين خائف، ومع تعدد الصفات بالمقطع، فإن صفة الحزن هي

..
الغالبية بسبب التكرار.

وقد يكرر الشاعرُ الدالَّ لينطلق منه في كل مرة إلى جديد كما هو الحال مع تكرير الدال "أمركا" في كل مقاطع ديوان تيمور البالغة أربعة وستين مقطعاً، في كل مرة يتكرر الدال في المفتاح، ومن ذلك تكرير "محمد الجيار" للأداة (منذ) في قوله يخاطب الآخر:

"تصرخ في عينيك دماء الناس..

منذ خطأ التاريخ الأول/ منذ تهجى الشرُّ حروف الموت..

منذ انطلق البعض ضباباً يعمى عين الفجر../ منذ تلوى الحقد فقاد خطى
قاييل لتقتل..

منذ حريق الأطفال على بستان الزيتون../

منذ ارتجفت روما بصراخ المحترقين..

وقف الموت يردد لحنك يا نيرون^(١٥)

وقد يكرّرُ الشاعرُ عبارة أو سطرًا شعريًا أو شطر بيت كاملاً، ووظيفة هذا النمط من التكرار "أن الشاعر يتخذ من العبارة المكررة مرتكزاً، يبنى عليه في كل مرة معنى جديداً، وبذا يصبح التكرار وسيلة إلى إثراء الموقف. وشحذ الشعور إلى حد الامتلاء^(١٦) ومن نماذج هذا النمط قول الشرقاوى:

وإني لأعجبُ لِمَ صَوَّرَكَ حديدَ الفؤادِ بليدَ الشعورِ

وأعلمُ أنك تهوى الزهور

فتشد ألوانها في الدماء (..)

وأعلمُ أنك تهوى النجوم وتمعجب كيف تحلى السماء

وتطلبُ في الأرض سحرَ النجوم فتصنعُ لآلاءَها بالدموغ

وأعلم أنك تهوى العطور
فتنشر في الأرض عِطْرَ العَفْوَةِ!

وأعلم أنك تهوى الحرير فتقطع في الوخل دُودَ الخيانة (...)
وأعلم أنك تهوى الصباح نَدَى الجراح رخيِمَ القَويل⁽¹²⁾

فالشاعر يركز على تكرير العبارة (وأعلم أنك تهوى + دال معرف) لتكون منطلقة إلى استكمال جوانب الصورة. وفيما عدا المرة الأخيرة (الصباح) فإن السطر الأول من العبارة المكررة دائما يبرئ ساحة الشاعر فهو يحسن الظن (هكذا يبدو ظاهر اللفظ) بالرئيس الأمريكي، أما السطر الثاني فيكشف عن فعل الأخير المُفْسِد، فهو دائماً من (يشد الدماء، ويطلب الدموع، وينشر.. العفونة، ويطلع.. الخيانة).

ومثله تماماً تكرير (جريدة) لعبارة: (ارحل وعارك في يدك) لأكثر من ثمان مرات في مفتاح أكثر مقاطع نصح. فهي الرسالة الأولى التي يحرص الشاعر على إثباتها وإبصارها وحضورها من مفتاح النص وحتى متناه. بل إنها العنوان البارز في صدر النص (في وداع بوش.. ارحل.. وعارك في يدك) هكذا متلبساً، ومنه تكرير حسين نجم لعبارة (قلبي معك) في مطلع كل مقطع، ومن نماذجها:

”قلبي معك/ يا سيدى القبطان/ فوق سفينة القرن الجديد

وصاحب الجيروت والقذح المعلّى/ .. من عقود.. في الحواضر والأمم

قلبي معك“⁽¹³⁾

والتكرير يكشف بجلاء عن تسامح الذات مع الآخر في مصابها بسبتمبر.
وقد يكرر الشاعر مقطعا كاملاً وإذ ذاك يجمل به أن يدخل بعض التغيير في بنية المقطع. وكما تقول نازك الملائكة فإن: ”التفسير السيكلوجي لجمال هذا التغيير، أن القارئ وقد مر بهذا المقطع يتذكره حين يعود إليه مكرراً في مكان آخر من القصيدة، وهو بطبيعة الحال يتوقع توقعاً غير واعي أن يجده كما مر به تماماً؛ ولذلك يحس برعشة

من السرور حين يلاحظ فجأة أن الطريق قد اختلف، وأن الشاعر يقدم له في حدود ما سبق أن قرأه لوئنا جديداً^(١٩)، هذا ما فعله "قميحة" حين كرر مقطع البداية في قوله:

وزعمت بأنى إرهابي	وبأنى دموي مجرم
وبأنى عامل تخريب	وبأنى رجمى مظلم
وكذبت فذنبى نعرفه	هو أنى عربي مسلم

مرتين آخرين بتغيير ينال من البيتين الأولين على نحو قوله:

وتقول بأنى إرهابي	وبأنى دموى مجرم
وبأنى عامل تخريب	وبأنى ذو عقل مظلم
وكذبت فذنبى نعرفه	هو أنى عربي مسلم

والتغيير يأتي مَوْقِعًا إذ لم ينل إلا من قول الأمريكي، فهو في الأول يزعم.. فلما لم يجد صدق ظل يردد قوله: (وتقول) هذا هو التغيير الأول الذى نال أول دوال البيت الأول، ثم هو يستبدل في البيت الثاني الدال: (ذو عقل) بالدال: (رجمي) في العجز. والتغييران فاعلان في نمو النص وكسر رتابته.

أما الثبات فخاص برسالة الشاعر التي احتواها البيت الثالث، فهو هو في كل مرة، وكان الشاعر يرمى الأمريكي بالتلون والمخادعة، في حين تتسم رسالة الشاعر بالثبات على الفكرة والموقف.

ومثله تكرير "محمد الجبار" لمقطع كامل في نصه "الأسود.. والقمر الطيب".. يقول:

"قد بُنيت حزنى عشباً لم تزرعه يدان
فيدوس الناس عليه.. بلا رحمة

يطردنى الضوء بكل مكان/ وأنا الإنسان"^(٢٠)

ولأن مأساة السود بأمريكا بشعة ومتواصلة متكررة ولأن الشاعر حريصٌ على فضح الآخر العنصري، فقد كرر المقطع مع تغيير مستملح مرة أخرى بالنص، فقال فيما بعد:

”قد يثبت حزني عشبًا لم تزرعه يدان

ويدوس الناس عليه بلا رحمة

يطردني الضوء بكل مكان/ وأنا الإنسان

لم يكرهني نجمٌ واحد

لم يشهر في البدر الأسود قطرة حقد

لم يصنع دمعى قمرٌ يسهر للسعداء

فلماذا يطردني ضوء الإنسان

وأنا أحمل عنه الأحزان“

وقد تحقق للنص بتكرير المقطع مُتغيرًا إلى حد ما أمران:

الأول: التماسك النصي من التكرير ذاته كتنقية.

الثاني: نمو النص وعدم تفككه من التعبير الطارئ، وقد أفاد أيضًا في دفع

الملل عن المتلقي وإدهاشه.. وربما إيقاظه!

وقد يكرر الشاعر التركيب بالمدونة بالألفاظ ذاتها أو بغيرها، وإذاك يطرب

المتلقي ويتدفق إيقاع النص، بما يسمح للشاعر ببث نجواه والتنفيس عن شكواه

متبرئًا بالآخر، على نحو ما نجد في قول عواد:

فلتملأ الفراغ بالضحايا

ولتملأ الفراغ بالدماء

ولتملأ الفراغ بالأشلاء

ولتملأ الفراغ بالبكاء

لكننا يا سيدى الرئيس / في الشرق لانحس بالفراغ
حياتنا يا حارس الحداة - كلها امتلاء
الأرض كلها غناء / والطير يملأ الفضاء / وتزدهى النجوم في السماء
حتى القلوب.. يا مفجر الحروب
حتى القلوب.. يا مبعر الخطوب
حياتها امتلاء^(١٥)

وتكرير التعبير الجملى "فلتملا الفراغ" مرات أربع، دلالتى المقصد أكثر من
آثاره الإيقاعية، وهو أشبه بتأنيب.. وعتاب تقيمي، يقترب من الهجاء المغلف،
وقد أسهم تناغم نهايات الأبيات الأولى في تعزيز آثار التكرير الصوتية فيما يشبه
الضرب الثلاثة الهمزية (الدماء الأشلاء / البكاء).

أما تكرير التركيب.. في قوله "حتى القلوب.. الخطوب" فجميل جميل..
يوافق لحظة التهاب عاطفة الغضب لدى الذات.. إذ بلغ الغضب مداه من أفعال
الآخر بما بدا واضحاً في الندائين اللذين يكشفان عن عبقريته في صناعة وتخليق
الحروب والخطوب، وقدراته العجيبة على التفجير التشظي والبعثرة والتفريق..!
وفى انسجام النهايات البائية أربعاً، جمالاً يكشف عن قناعة المبدع بما يقول
وامتلاكه أسرار التقنية الشعرية.

وقد تهيمن بنية التكرار بأنماطه المختلفة على مقطع بعينه، ويكشف ذلك عن
إلحاح فكرة بعينها على نفس المبدع أو عن رغبته الأكيدة في إيصال رسالته الراهنة
بوضوح تام، من ذلك قول "عواد" في مفتتح رسالة الشاب العربي لأيزنهاور:

إليك يا رئيس

إليك باسم والدى الرحيم / وباسم أمى الرؤوم / وباسم أخوتى الصغار
وباسم زهرة أحبها الفؤاد / سمرأة يا رئيس / والسمر عندكم مضيئون

لأنهم ملونون/ إليك يا رئيس ذلك الخطاب
من قلبي المليء بالعذاب/ لأنه يُحسُّ بالخراب/ يُهددُ الحياةَ
من حلقي المليء بالدموع/ لأنه يحس بالرياح/ تهدد الشموع
أضمن الخطاب كلمتين/ من قلبي الجريح/ من صدرى الذبيح
من موطن الفداء بورسيد

ومثل ذلك تمامًا في مفتاح النص يقول "محمد الجيار" على لسان المرأة
الزنجية في قصيدته التي تضعُ بالمفارقة من عنوانها: "طفل يولد في قبر" يقول:

لو يعلم طفلى مأساة الإنسان

لارتدَّ وراء الدهر بغير زمان/ أمريكا قابلةٌ عمياء!!

تقتل أطفال السود بلا رحمة.. / فلماذا يا أهل النعمة؟

الدودُ بقلب الأمراض ينام.. / والسماك بجوف البحر يعيش

والوحش بصدر الغاب.. ينام/ والموتى في الأجداث.. تنام

لكننا في أمريكا لا نملك أمن الليل

لا نملك إلا أن تحملنا الريحُ بغير مقرّ

لا نملك غير دثار الظل

هل نسمعنا الناس بهذا العالم..؟

هل نسمعنا غير الموت؟" (١٧)

والحق أن تنوعات شعراء المدونة في توظيف إمكانات تقنية التكرار، واتكاءهم
عليها في توصيل رسالاتهم يتصل على نحو واضح بالحاحهم على حسن الإبلاغ
كما يشير إلى مدى الآلام التي يعانونها، ومدى الجرائم التي اقترف إنتمها الآخر.

المقابلة

المقابلة تقنية لغوية وبلاغية بديعية، تمثل مظهرًا من مظاهر التباين، وتنسجم إبداعيًا مع تلك التجربة الشعرية التي تتسم بمواجهة ما، تربط المبدع بالمتلقي، كما هو الحال بالمدونة، فالشاعر هنا يقف على الجهة الأخرى المباشرة والمقابلة لموقف الرمز الأمريكي.

وقد اعتمد الشعراء المقابلة إطارًا إبداعيًا وآلية شعرية للكشف عن حجم المأساة ولفضح الهوية الحقيقية بين ما يأتيه الآخر الأمريكي، وما يدعيه.

وقد يكون التخالف بين رؤية الشاعر للعالم وبين ما يجري في هذا العالم هو ما يعزز الرغبة في لغة تقابلية، ويجعل اتكاء الشاعر على المقابلة مطلوبًا، وفاعلًا متسقًا من الوجهة الإبداعية.

وللتقابل بالنص الشعري وجهان رئيسان بالنظر إلى العلاقة التي تربط طرفيه، إذ يكون المعجم هو من يصنع المقابلة في حين، وفي حين آخر يكون السياق هو الصانع لعلاقة التقابل ولكل مزيج، وفضل الشاعر مع المقابلة المعجمية ينحصر في حسن الاختيار، في حين يكمن فضله مع السياقية بمحموري الاختيار والتوزيع معًا.

أولاً: المقابلة المعجمية:

إذا كان التضاد هو سمة الوجود، وإذا كان تقابل الآراء والمواقف والمصالح والآمال هو ما يضبط علاقة الأنا (شاعر المدونة) بالآخر (الأمريكي) فإن المقابلة تصبح آلية جمالية وتقنية فنية مناسبة جدًا مع طبيعة الرسالة والمدونة.. يخاطب الشرقاوي الآخر فيقول متحدثًا مستثمرًا إمكانات المعجم العربي:

ستحيا ابنتي في ظلال السلام
وتصبح أنت مع التابعين هواجس من ذكريات الظلام
فإن تملكوا الذرة المُفنية
فإنّا كنملكُ التضحية
ونملك الذرة البانية
ونملك طاقاتنا كلّها/ ونملك أيماننا الباقية/ وتاريخ أجيالنا الآتية
في مختتم مطولته يخلص الشرقاوي إلى تلخيص القضية، ووصفها في إطارها
الحقيقي للصراع، والسبيل إلى ذلك هو تقنية المقابلة، ولئن بدت المقابلة محصورة
بين المفنية والبانية، فليست تلك إلا إحدى محطات الاحتشاد الظاهرة وبخلافها
نجد بالنص ما يعزز التقابل بين طرفي الرسالة، فالإطار اللغوي الضام للدال
(المفنية) تشكيكي فعلي، يتخذ إطار الشرط قالباً أصيلاً، أداته ليست للتحقيق أو
التأكيد كما هو الحال مع (إذا) وأما الإطار اللغوي الضام للدال المقابل (البانية)
فيرد في إطار تأكيد اسمي مبدوء بأن المؤكدة.. ويتصل خبرها باللام المؤكدة.
ومن نماذج المقابلة المعجمية قول "الدكتور تيمور" عن التناقض الكائن بين
الأنا والآخر:

أمركا/ سفينة قادمة من الفضاء الخارجي
كلّ ما فيها مُشيع/ من يمدّ إصبعا إليها/ قد يضيء عمره
أو يحترق/ روادها الذين يخرجون من أبوابها/ يماثلوننا تماماً خِلقةً
لكنهم/ مغايرون في الطباع والسلوك والخُلُق^(١)
فالمقابلة هنا فاضحة واضحة، والتقابل بين (يماثلوننا، مغايرون) كاشف،
وربما بدا اختلاف البناء الصرفي بين المتقابلين بادی الرأي مُضعفاً لبنية التقابل..
والحق أنه داعم؛

أولاً: لأن وقوعهما بمفتح السطر عزز علاقتهما المتناظرة موقعياً، والمتخالفة دلائياً بالبنية السطحية على الأقل.

ثانياً: الرابط "لكنهم" المنفرد ببيت كامل، يتيم التفعيلة، يعزز هذه المخالفة ويرقى بها خطوة للأمام نحو التقابل.

ثالثاً: اختلاف البناء الصرفي، عزز التقابل تأسيساً على كون الفعل يعبر عن الزمن الطارئ، والاسم عن المستقر الثابت، فإذا كان الآخر يماثلنا "هكذا يقول تيمور" في حين/ في جانب الخلقة فإنه مغاير لنا في أحيان كثيرة، وفي أكثر من جانب، في الطباع وفي السلوك وفي الخلق.

ومن الجلي أن ارتفاع درجة الوعي بالقضية لدى شعراء المدونة أسهم في إبرازه حسنُ توظيف تقنية التقابل بحيث بدت فاعلة في تشكيل الدلالة وجمالية الإطار على سواء، وقد جسد عواد بالمقابلة المعجمية أباطيل مزاعم الآخر، حين ادّعى ليجد لنفسه مكاناً بوجودنا أننا نعاني من فراغ.. حيلة مبتكرة كباقي حيله، إذ يرى الشاعر وجودنا ممتلئاً وذواتنا ممتلئة.. يقول:

ونحن نعبّر الحياة ممتلئين/ بالشوق والوداد والحنين
فأين ذلك الفراغ، والقلوب/ تفيض بالفراغ/ والأمن والسلام
وقريب من قوله:

فلتملأ الفراغ بالضحايا/ واملأ الفراغ بالدماء/ واملأ الفراغ بالأشلاء
ولتملأ الفراغ بالبكاء/ لكننا يا سيدى الرئيس/ في الشرق لا نحس بالفراغ
حياتنا- يا حارس الحياة- كلها امتلاء

فهو يسخر هنا من ادعاء الآخر، ويجمع بين المتقابلين على نحو بديع في جملة واحدة.

ثانياً: المقابلة السياقية

عمد شعراء المدونة إلى استثمار ملكاتهم الخاصة في تطويع إمكانات اللغة المتاحة لإبراز تخالف المسلك بين الآنأ والآخر، عبر عرض المقابلة بين الدال ومرادف نقيضه، وتنماز نماذج هذا النمط التقابلي ببيكارته التي تصنع الدهشة كخطوة أولية على مدرج الاقتناع والتبني لدلالة النص وفكرة صاحبه المبدع، ومن بسيط نماذج هذه النمط.. قول تيمور:

بالسنت دافع حسابه/ فإن السنت في أمركا/ فتى مُخنث

له لينُ البنات لو حفظته/ ولو ضيّعته/ يطرُّ في خديه شاربٌ رجل⁽²⁾

وتتأسس المقابلة هنا على الدال المحوريّ (فتى مخنث) المخبر به عن السنت الأمريكي، وطالما أن التخنث هو طابع السنت، فإن تماهي الحدود الفاصلة بين خصائص النوعين: الذكر والأنثى هي التي تسم العملة أو الاقتصاد بجملته! هذا التخنث أو مفارقة خصائص الأصل تفضحه المقابلة بنوعها هنا، وتأتي السياقية كاشفة عن الممارسات الاقتصادية الجائرة للمال الأمريكي، إذ هو حال حفظته سيبدو ذلك في لين البنات. أما لو ضيعته (بالتمرد والاستجابة لنداءات الوطن مثلاً..) فسيبدو لك لا في قسوة الأولاد، وإنما في قسوة تكشف عن خبث الآخر واستعماريته.. سيطرُّ في خديه شارب رجل.. ليس في شفته، فالشارب الأمريكي وحشي يتجاوز الشفة إلى الخدين، وفي لفظ "يطرُّ" نلمح السرعة في التحول، سمة الموقف الضابطة لتحولات السياسة عند الآخر، إنه الكيل بمكيالين!

وقد تأتي المقابلة السياقية كاشفة عن مسلك جاهلي رجعي أتاه الآخر في مواجهة ما، وربما استثمر تقنياتها الشاعر لإبداء رأيه الساخط من ممارسات الآخر، فالفارق كبير كما يرى جويده:

بين سلطان يُتَوَجَّهُ الجلالُ

وبين سَفَاحٍ تُطَارِدُهُ الفضائحُ

ومن الجليّ أن صورة الآخر ليست هي السلطان الذي يتوجه الجلال، والمقابلة هنا تبدو إخبارية، وكأنها تصف الآخر كونه (سفاحًا) تطارده الفضائح، وتعد تلك إحدى صور تحولات المقابلة ودلالاتها بالمدونة.

وقد أسعفت ممارساتُ الآخر الخاطئة والخاطية الشاعرَ على استثمار تقنية التقابل فتكاثرت نماذجها في إطار واحد، بحيث بدت التقنية المهيمنة، على نحو ما نجد عند "وحيد الدهشان" إذ يقول لبوش:

هذى حضارُكم تؤدي للفناء مَرَايِمَهُ

أحجارها مرفوعة ونفوسها مُتَهَدِّمَةٌ

ما قيمة الأضواء ترقص والضامير معتمة

والله يمهّل ثم يأخذ من بنى بالقاصمة

والمقابلة بنوعها تلف المقطع بكامله، وترسم للآخر صورة متناقضة، صورة ظاهرها وردى وجوهرها ظلامي دمويّ.

وترتبط نماذج التقابل بشعر المدونة بدلالات خاصة، تطبع السياق الضام، من ذلك دلالة المقابلة على التحول، وهو أكثر الدلالات دورانًا بالمدونة، ومنها قول الدكتور تيمور:

أمركا رأيتها في ساعة المضاء / شعبًا من شعوب النار /

ينظفني دقيقة / لكي يعود يشتعل^(١)

ومنها قول الشرقاوى:

"فقلت: بُنى هم الإنجليز يثيرون أيماننا الآمنة

وقد أخذوا كلَّ غلاتنا وقد نضب الماء في الساقية
ولم يبقَ شيءٌ على حاله سوى حسرة مُرَّة باقية
والبيت الأخير مفتاحيٌّ في قراءة المقابلة الظاهرة بالبيت الأول (يشيرون-
الأمّنة) والمستترة في (نضب الماء).

ومثله قول الدكتور قميحة:

تلمعنكم صابرا وشاتبلا ومذابح بيروت وقانا..

وكهولٌ وشيوخٌ سُحقوا وعمايرٌ صارت قبعانا

فالعجز الأخير يكشف عن مقابلة تحول تدميرية بفعل الآخر.

ومن دلالات المقابلة بالمدونة إبراز تناقض سلوك الآخر، ومجتمعه، يبرز هذا

التناقض السلوكي الدكتور تيمور فيقول:

خاصمت هذه المدينة التي تعتقل الإنسان..

وتمنح الحرية التمثال

فالمقابلة هنا بين (تعتقل الإنسان، وتمنح الحرية التمثال) دالة، خاصة في ضوء أن منح الحرية للتمثال شكليٌّ، ليس إلّا من قبيل التسمية الإضافية، أما اعتقال أمريكا للإنسان فيشهد به الواقع العالمي، ولا تستطيع الممارسات الفعلية للآخر تكذيبه أو التشكيك فيه.

ويبرز "علي الغاياتي" هذا التناقض حين يخاطب روزفلت قائلاً متعجباً وساخطاً:

فهل أعداك طبعُ الوحش حتى عبتَ وأنت في دار ابتسام

فالعبوس كحالة تلبست الآخر مناقضٌ للمكان الخاص بالذات ا

ومن أجمل نماذجها قول تيمور:

أمركا/ حلم وكابوس/ وعيدٌ أو وعيد/
جنة محفوفة أسوارها/ بناز/ وقلعة تحاصر الرياح
والرياح أرواح من الجن الذي/ يهيج الحصار
أمركا/ أغنية/ وصرخة/ أمنية/ وهاجس
قهقهة عالية/ ثم صفير متقطع/ كسيارات شرطة وإسعاف
تخبُّ إثر قاتل فرّ/ ومقتول يحاول الفرار^(٥)
ومثله قوله:

أمركا/ عجيبة من المهاجرين والمهجرين/ من الجناة والضحايا
والغزاة والسبايا/ قد تداخلت سدائهم بلحمة العجين
من خلطة الشمال والجنوب/ والسواحل الشرقية الغربية التي تضم قلبها
كرحِم يحيط بالجنين^(٦)

فالمقابلة تجسد تناقضات مجتمع الآخر، من منشئه، وحتى فلسفة إدارته،
والأخلاق المهيمنة على أمته.

أما دلالة المقابلة على الشمول، فتعد ثاني أبرز دلالات المقابلة دوراً
بالمدونة، وهي في حين تكشف عن شمولية الانهيار الأخلاقي، كما في وصف
"تيمور" - لأمريكا في قوله:

أمركا رأيتها في الليل حانة.. ليس يعرف الحياء سِكةً لخدّها الأيمن
بيناً خدّها الأيسرُ يجهلُ الطريقَ للخجل^(٦)

فالحياء والخجل مرفوعان من الخدمة.. وغير متاحين بأرض الآخر بحسبان
المقابلة والبدال "بيناً" مضللّ، إذ يلمحُ إلى خلاف بين طرفيه، وليس إلا تقريراً
وتوكيداً لما سبق بما يلحق، أما تقابلات الدوال المقررة بين (يعرف، يجهل)

الأيمن، الأيسر فتكاد تزول إلى ترادفات، فاضحة لسيطرة تسلط النفى (ليس) على كلا قيمتى الحياء والخجل.

وهي في حين آخر تجسد شمولية القدرة العلمية للآخر: تلك التي تجسدها مقابلة تيمور في قوله:

أمركا.. / معاملاً / يجربون الموت في إنبيقها الأسود

والحياة في إنبيقها الأبيض / والحياة بعد الموت / في إنبيقها الذى انفلق⁽⁷⁾

المفارقة

المفارقة جزء من طبيعة الحياة كلها ⁽⁸⁾ ولأن الحياة ملأى بالتناقضات، ولمّا كانت أفعال الآخر وأقواله يصعب تمييزها في أحيان كثيرة، إذ تبدو متناقضة وغير مبررة، صارت المفارقة تقنية إبداعية فنية جمالية متسقة بالمدونة مع الموضوع. وتتصل المفارقة بالتضاد، إذ تنأسس شعريتها عليه، وقد تجلت تقنية المفارقة بالمدونة عبر نوعين ⁽⁹⁾ هنا: المفارقة الساخرة، ومفارقة الإنكار. ومن نماذج الساخرة قول الشرقاوى يخاطب ترومان:

وإني لأعجب لم صوروك حديد الفؤاد بليد الشعور

وأعلم أنك تهدي الزهور

فتنشد ألوانها في الدماء

وتمشى من الأرض في حيث شئت لتقطف كل زهور الربيع

فتسحق أوراقها اليافاعات وتشرها فوق أرض الشقاء

وتجري الدماء وتبقى الزهور!

وأعلم أنك تهوى النجوم وتمعجب كيف تحلى السماء

وتطلب في الأرض سحر النجوم فتصنع لآلئها بالدموع

وأعلم أنك تهوى المطور

فتنشر في الأرض عطر العفونة!

وأعلم أنك تهوى الحرير/ فتطمع في الوحل دود الخيانة" ⁽¹⁰⁾

والتهكم الناتج عن المفارقة يبدو واضحاً من مفتاح المقطع في قوله "وإني

لأعجب وفي السؤال التعجبي.. نلمح شبهة تقرير، فالعجب حقيقة إذا كان في ظاهره مرتبهن بالسؤال فإنه على الحقيقة.. وكما ستؤكد المفارقة فيما يلي مع كل مثنى من الأبيات.. يقرر أن الآخر حديد الفؤاد، بليد الشعور.

فالمقابلات بين: الزهور، الدماء

ثم بين العطور، والعفونة

وأخيرًا بين الحرير، ودود الخيانة⁽¹¹⁾

تشكل مفارقة ممتدة، أثبت في كل مرة عبر ثنائية بيتية أحيانًا أو ثلاثية حينًا، اختص طرفها الأول دائمًا بما يشبه تقرير الحقيقة، مبدؤًا بالفعل (وأعلم..) كثيرًا أو تمشي في مرة يتيمة. ويختص الطرف التالي بالكشف عن حقيقة الآخر المناقضة تمامًا لما يُفهم أولًا، فتبدو صورة الآخر عبثية تناقضية، تتجمل وتكذب، ظاهرها فيه الرحمة وجوهرها لا ينطوي إلا على عذاب، إذ تمثل حضارة الآخر قشور الإنسانية ولباب الوحشية والطفانيان، يقول جابر عصفور عن الأبيات:

”تستهل القصيدة أبياتها بهذه السخرية التي تنبني على المفارقة الناتجة عن الجمع بين سبب ونتيجة مناقضة له كل المناقضة، مؤكدة بذلك علاقة غير متوقعة تفضي إلى زعزعة صورة المتحدث عنه في الأذهان“⁽¹²⁾

والحق أن المفارقة هنا لا تجمع بين سبب ونتيجة مناقضة، إذ ليس علم الشراقوي يقينًا مما ذكره من حب ترومان للزهور والنجوم.. وإذًا تبدو المفارقة على الأقل في شقها الرئيسي من صنع الآخر، وليست إبداعًا أصيلًا للذات المبدعة، فالمفهوم— كما أرى أن الشراقوي استثمر تقنية المفارقة هنا من بنات فكره، فاعتمد في كل مرة سعى إلى ترسيم عدوانية الآخر من خلال الحديث عن سلوك شخصي محمود لكنه مخترع، وهذا السلوك لا يعنى سوى الآخر، لا يتعدى نبلة صاحبه إلى سواه.

وتأتي الحقيقة المرة التي أرادها الشاعر على الحقيقة تابعة في كل مرة للفاء

التي توهم أنها سببية، وليست كذلك، إذ لا يتصور حب الآخر للزهور سبباً في نشداته ألوانها في الدماء، والفاء هنا تعقيبية عاطفة، وليست سببية أو تبريرية، تفصل بين طرفي تعبير، أوله ليس إلا مُتْكَأً لثانيه ومعبراً له، بحيث بدا الأسلوب ذمّاً يشبه المدح في كل مرة.

أما مفارقة الإنكار فهي إحدى المفارقات اللفظية التي تمثل "منحى يفيض بالسخرية.. ويستخدم لغة الإنشاء" ⁽¹³⁾ ومن نماذجها قول الشرقاوي لترومان:

أترمى حماماتنا بالنسور؟!

معاذ الأبوة يا سيدى. فانت أب. وكلانا حنون

ألسن تصون حياة ابتك؟

فهل تصنع الموت للأخريات؟

والمفارقة هنا تكشف عن أنانية الآخر وعدوانيته، وقسوته، على نحو يتأسس

عبر مراة السؤال! وعبقرية الخطاب الرومانسي الحاملة!

النفى

إذا كانت جملة التعامل اللغوي منشؤها الحركة النفسية من ناحية والمدرك العقلي من ناحية أخرى، وهما بدورهما خاضعان لعملية الوعي والقصد كما يرى الدكتور محمد عبد المطلب^(١)، فإن طبيعة رسالة المدونة وكونها بين طرفين متخالفين، أجاب أحدهما (الأنا) على مبادلة (الآخر) سوءًا بسوء، وخصامًا بخصام، قد اتسقت مع بنية النفي بتحولاتها وطاقاتها الاختيارية وأدواتها المتنوعة. وقد استخدم شعراء المدونة النفي تقنية فنية، ومعادلاً موضوعياً في آن واحد، فأشهروا "لا" في وجه الآخر، في مقابل من أدمنوا قول (نعم) من المُطَبِّعين والمطبوعين على الطاعة وإيثار السلامة، والظفر بغنيمة الإياب العاجلة. وقد نوع شعراء المدونة في استخدام أدوات النفي، فجاءت "لا" بالمرتبة الأولى، تليها (لم- لن) وأخيراً (ما- ليس).

لقد أشهر شعراء المدونة النفي بأدواته وبخاصة "لا" في وجه الآخر، امتهاتاً له، واعتراضاً عليه وعلى سلوكاته، وتأكيداً للهوية، وإبرازاً للتسامح، وربما احترازاً أن يفهمه الآخر خطأ، وأن يتسرب إليه خطأ ما. وقد بدا النفي أحياناً سبيل (الأنا) إلى تحدي (الآخر)، إذ تزول "لا" (الأنا) كونها تحدياً وتمرداً وانفلاتاً من (الآخر)، ذلك في قول الشرقاوي^(٢):

ولست أقدم "طى الخطاب" دماء ابتى

ولا زوجتى!

ومن نماذج استثمار آلية النفي في المدونة قول "الدهشان" يخاطب "بوش"^(٣):
يا بوش لا تفرح فإنك لستَ غير مسيلمة

والنص يكشف عن تحولات بنية النفي التي آلت إلى منطقة الإيجاب أحياناً بفعل تعطيل النفي بالنفي، بوش هو الكذاب مسيلمة، واستخدام تقنية النفي هنا بأداتين مختلفتين تتسلط أولاهما على الأخرى إبطالاً وعدمًا، بما أن نفي النفي إثبات، جعل الخلق الأظهر والسيما الألصق ببوش هي سمة الكذب والخداع، تلك التي يحتفظ تراثنا الإسلامي لها بتيمة ولا أبشع، هي تيمة "مسيلمة الكذاب". وفي بنية النفي المزدوجة هنا تتأكد الحصرية، فليس بوش غير مسيلمة.

وقد بدا الشاعر مع النفي مهاجمًا للآخر، يقول "الغاياتي" ممتهنًا هذا الآخر⁽⁴⁾:

لعمرك لست بالرجل الهمام إذا عد الهمام من الكرام
كرام الناس أصدقهم حديثًا وأبعد عن أكاذيب اللئام
فمالك لم تقم في النيل إلا لتُسمعن أباطيل الكلام
أراك ترى البلاد بغير عين رأيت بها بلادك منذ عام

فالآخر بالمطلع ليس بالرجل الهمام، ثم هو بالتالي ليس إلا كذوباً أو من أباطيل الكلام، وأخيرًا هو- وعبر آلية النفي- مجانب للصواب ومُجاف للحقيقة، إذ يحترف تغيير الموقف.

وإذا كان النفي يتصل بالتشريد واقمًا جنائيًا وآلية عقاب، فإنه يرتبط فنيًا في المدونة بالتجريد، أعني تجريد الآخر من كل مظاهر العظمة والجاه والسلطان والقوة، تلك التي مارس طغيانها على (الأنثى) المبدعة، وإذا كان الشعراء على الحقيقة لم يستطيعوا تجريد الآخر من مكان قوته، فقد نجحوا (إبداعيًا) في تجريده بحيث بدا في رحيله/ غيابه غير مأسوف عليه، يخاطب "جريدة" (بوش) فيقول⁽⁵⁾:

ارحلّ وعارك في يديك
لا شيء يبكي في رحيلك..

رغم أن الناس تبكى عادة
عند الرحيل
لا شيء يبدو في وداعك
لا غناء.. ولا دموع.. ولا صهيل
مالى أرى الأشجار صامته
وأضواء الشوارع أغلقت أحداقها
واستسلمت لليل.. والصمت
الطويل

فالمقطع من مفتحه وحتى متناه يكرس لشيء واحد هو انعدام القيمة للآخر
الراحل، فاللامبالاة هي ديدن الوجود حيال رحيله، إذ لا شأن له ولا وزن. ومع مجانفة
ذلك للحقيقة إذ للآخر في أضوائها شأنه التدميري، ووزنه الاستلابي الإمبريالي فإن
المعنى المتحقق من لا شيء يبكي في رحيلك، فيقرر الموقف المطلق أنه اللامبالاة
لرحيل الآخر وعدم الاحتفاء لهذا الرحيل، فالتفني المتسلط على الفكرة الموهلة في
التفكير (شيء) يكرس للشمول والإطلاق، والمفارقة الملموحة من البيت التالي
(رغم أن الناس تبكى عادة عند الرحيل) تزيد من بيان مسخرية (الأنا) بالآخر، إذ
الوجود خالف عادته الإنسانية معه، ربما لضعف مظاهر الإنسانية فيه.

تتكرر آلية التفني مجدداً بالبيئة ذاتها، لا شيء يبدو في وداعك، لتؤكد عدم الاكتراث
لرحيل الآخر، تليها ثلاثية نفى، يبدو طرفاها الأولان متناقضين (لا غناء - لا دموع)
يمثلان حالتى السعادة والألم. أما بنية التفني الثالثة (لاصهيل) فتقرر أحد معنيين،
فإما أن تقصد إلانفى القوة عن الآخر، وإما أن تشرك الحيوان (مرموزاً إليه بالخيل)
في إهمالها لمشهد وداع الآخر، هذه الدلالات يلخصها الاستفهام التعجبي ظاهراً،
التقريري جوهراً، والذي ينحو إلى ترسيم مشهد الصمت الطويل حيال رحيل الآخر،

وكان رحيله قطع حالة صخب وربما عويل طال الوجودَ حال وجوده.

ومن نفي التجريد كذلك قول جريدة أيضًا⁽⁶⁾:

ارحل وعارك في يدك

هذى سفيتك الكئيبة

فى سواد الليل ترحل

لا أمان.. ولا شراع

تمضى وحيدًا في خريف العمر..

لا عرش لديك.. ولا متاع

لا أهل.. لا أحباب.. لا أصحاب

لا سندًا ولا أتباع

كلُّ العصابة فارقتك إلى الجحيم

وأنت تنتظر النهاية

وتقنية النفي تشبه في عملها هنا عملها هناك، والنفي بالنموذج يؤكد اتكاء المبدع عليه بوصفه تقنية إبداعية طيبة بمقدورها حمل الدلالة وتأمين الرسالة في مسارها المقصود إلى المبدع.

فبالنصين كلمة مفتاحية تكشف عن غاية النفي الإبداعية هي في الأول (الصمت الطويل)، وهنا هي (تمضي وحيدًا في خريف العمر) وبالنصين تسلط بنية النفي على الاسم من دون الفعل أو الحرف، والاسم هنا نكرة، وتسلط النفي عليه يفيد الشمول.

وتزدى آلية النفي أحيانًا دورًا احترازيًا، يدفع وهماً يخشى المبدع تسرُّبه للآخر، وهو أمر ربما لا يطيقه المبدع، فالشرقاوي يعتمد تقنية النفي سبيله إلى ألا يغضب

الآخر لما قد يبدو لديه تقصيرًا من التابعين، فيقول ⁽⁷⁾:

نشدتك بالرعب لا تغضبن لأنني لم ألتق في السجن بعد
بمجدك ما قصر التابعون

فهم مخلصون

وهم لا ينون ولا يهدأون

ولكنها.. أزمة في المساكن

ومن الجلي أن النفي بأدواته (لا- لم- ما) يُقَرَّرُ إلى دوره الاحترازي دورًا آخر، يكشف فيه بذكاء عن همة التابعين البالغة في البطش بخصوم الآخر، ويقوله (بالرعب) الواقع مقسمًا به ما فيه من سخرية لاذعة ومرة في آن.

ومثله قوله أيضًا نافيًا عن ذاته في خطابه للآخر أن يكون سياسيًا أو زعيم حركة أو انقلابيًا أو ما شابه. إذ ينحصر توصيفه الذي من خلاله خاطبه أبا، يقول ⁽⁸⁾:

ولكنني رغم طول الحديث ووعثائه لم أقل من أكون

ولست بشيء جليل الخطر!

فدعني أقل لك إني أب.. أب ليس غير

في البيت الثاني نفي يدفع وهما ربما لطول الخطاب وعمقه تسرب إلى الآخر أن المبدع خطيرٌ وزعيم. أما النفي بالأخير (أب ليس غير) فيقرر الحقيقة المتوافقة تمامًا مع عنوان الرسالة/ النص/ الديوان

وقد جاء النفي في بعض مواضع المدونة أشبه بقالب تصويري يسهم في ترسيم المشهد، على نحو ما جاء في قول جريدة على لسان طفلة البوسنة ⁽⁹⁾:

وحولنا تبكي الظلال

لم يبق غير بكاء ثكلى أو عجوز

أو صغير أطبق الفم الجريح

على الرمال

لم يبق من أشلاء بوسنة

غير خوف أو سؤال

لِمَ لا نعيش بأرضنا

لم لا تظل منابر الإسلام تاجًا بيتنا

فبالبوسنة ومن خلال آلية النفي لم يبق غير بكاء ثكلى أو عجز "يلاحظ هنا دور العطف في تحديد مشاهد الحزن والحرمان والعدوان" وبأدوات النفي المتنوعة "لم - غير - لا" تتكشف حقيقة المأساة، في النفي في إطار الخبر يصف مشاهد الدمار والحرمان الحالة بالبوسنة. أما النفي في إطار الإنشاء فيكشف عن آمال طفلة البوسنة في حياة آمنة وعن دهشتها لعدوان الآخر.

الأساليب الإنشائية

يُنظر إلى الخبر باعتباره الجانب الأصيل في اللغة، وينظر إلى الإنشاء بما هو يمثل الجانب المتحرك في اللغة، فالأساليب الإنشائية طلبية كالأمر والنهي والاستفهام والتعجب والنداء، أم غير طلبية كالتعجب والمدح والذم والقسم أبرز مظاهر اللغة التي تعبر عن حيويتها^(١)

و"نرى هذه الأساليب معبرة عن هذه الحيوية بأربعة عوامل رئيسية..

أولها: العامل الصوتي، فمن مقومات التراكيب الإنشائية، وخاصة منها الطلبية، النغمة الصوتية، فهذه لا تنخفض في آخرها، لبقاء الكلام في حاجة إلى جواب بالقول أو استجابة بالفعل أو تعليق أو ما من شأنه أن يجعل الكلام مفتوحاً غير مغلق.

ثانيها: العامل النحوي أو الصرفي، فالتراكيب الإنشائية تركز على أدوات خاصة.. أو صيغ معينة.. وتساهم فيها هذه العناصر بأكبر قسط في تحديد مدلولها.

ثالثها: العامل المعنوي البلاغي، فمن مقومات هذه الأساليب في ظاهرها الترجمة عن الانطباعات العاطفية دون المقررات العقلية، فهي تعكس أزمة الشعور وحيرة العقل أكثر من حقيقة العلم وصادق الرأي.

رابعها: العامل النفسي المنطقي، فهذه الأساليب تنبع بقيام حوار، وقد تفضي إليه وقد لا تفضي، وبحسب ذلك تتلون معانيها ودلالاتها.

بهذه العوامل تُنشط الأساليب الإنشائية مراحل النص إذا داخلته وتعرب أكثر من غيرها من الأساليب عن حاجة الباث إلى مساهمة المستقبل الذي يتحول فيها من متقبل مجرد إلى طرف مشارك^(٢)

وتوافق دوافع الحيوية الخاصة بالإنشاء بطبيعة شعر المدونة، وخاصة فيما

يتصل بالعاملين (المعنوي والنفسي)، إذ يعكس شعر المدونة - واقعًا لا تنظيرًا - أزمة الشعر وحيرة العقل، كما أنه يؤسس - ربما على المدى البعيد - لحوار لا يحتكم لعبارة القوة والسلاح، وإنما لقيم الحق والجمال.

وإذا كان الشعر في عمومه يمثل إطارًا إبداعيًا مناسبًا لاحتضان الأساليب الإنشائية لتأليه على التقرير المجرد، فإن الوفرة البادية التي تسم تردد الإنشاء بالمدونة تقرر ابتداءً كون الإنشاء تقنية إبداعية أصلية بالمدونة استُجِرَتْ طاقاتها الجمالية والتواصلية لتعزيز الرسالة.

ومن نماذج الإنشاء بالمدونة قول عبد الرحمن الشرقاوي - يحكى عما دار بشأن "روسيا البلشفية" بينه وبين أستاذ الجغرافيا في خمسينيات القرن الفائت^(١):

وألح في "أطلسي" دولةً ومن فوقها حمرةٌ تشتعل
ولم يكُ أستاذنا قد أشار إليها، وقد فرغ المنهجُ
فخُيل لي أنه قد نسي

وقلتُ له: "قل لنا ما المتناخ، وكيف التضاريس في رُوسيا؟"
فقال وقد جحظت عينه من الرعب: "ما تلك يا أموجُ؟"
وخُيِّل لي أنني قد غلطتُ. فقلتُ "أليس اسمها روسيا؟"
فزمجر وهو يقول: "أخرس!"
فلم أنبسي..

.. ولكنه بعد حينٍ أتاني، وقد أوشكت عينه تخرجُ
وقال وفي صوته رهبةً "أجبتى - كيف عرفتَ اسمها؟"
فقلتُ له: "هى في أطلسي"
وثم أشرتُ إلى رسمها

فقال: "لقد فرغ المنهجُ

فقيمَ تساؤلَكَ المحرَّجُ؟

لئن شئت فاشطب على رسمها

فإني لأجهلُ أيَّ الرياحِ تهبُّ عليها

"- على رُوسيا؟"

"- أجل!- لا تُعذِّ بعدُ ذكَرَ اسمها"

فقلت: "وهل رُوسيا هذه؟"

فقال: "تشش.... إنها البُلْشُفيك!"

"- وأى الرياحِ هي البلشفيك؟

وهل هي عكسيَّة أم هي-؟"

فقال: "اجلسي!"

وضجَّ الصغائرُ: وما رُوسيا "وما رُوسيا؟"

فدمدم يلعنُ آباءَنَا وأجدادَنَا والجدود الكبارُ

إلى أن تناهى إلى آدم فأدركه طائفٌ من وقاز

وعاد يقول "اسمعوا يا كلاب. فهم بلشفيك! همُ البلشفيك"

وثمَّ تَلَفَّت من حوله.. وفي جسمه خَبَلٌ من حذرٍ!

فقلت له: "من هم البلشفيك؟

وهل هم قبائل مثل الشلوك؟..

فقال: "انتظري!"

فأنت غلامٌ غريزُ العُمُرِ

وبعد قليل ستبلو الحياة، وتعرف من أين يأتي الخطر؟

والإنشاء بالنص تتأزر أنواعه لتقرير حالة الحرج والفرع والهلع والرعب التي انتابت المعلم لمجرد حديث المتعلم عن روسيا في تلك الفترة من تاريخ الوطن. أما الاستفهام (السؤال) فمفتاح العلم مرهونة به، والأمر يستصعبه إما رغباً من المتعلم وإما رهباً من المعلم.. يبدأ المتكلم الحوار رغباً في التعرف على روسيا فيخاطب معلمه:

قل لنا ما المناخ، وكيف التضاريس في روسيا؟

والاستفهام مع الأمر يتواردان معاً على لسان أحد طرفي الحوار، بحيث هذا من المتعلم (قل لنا ما المناخ، وكيف التضاريس؟) ومن المُعَلَّم (أجبنى كيف عرفت اسمها؟)، وربما يتقاسمهما طرفا الحوار فيستفهم أحدهما، ليجيبه الآخر أمراً (المعلم غالباً)، على نحو ما نرى في: (وأى الرياح هي البلشفيك

... اجلس

ونداءاته للمتعلم هي: يا أهوج!، وللمتعلمين جميعاً: يا كلاب!

أما أفعال الأمر المتجهة من المعلم للمتعلم فتبدأ عنيفة من هول مفاجأة الأول، ثم تهدأ نبرتها الحادة إذ سكّت عنه الغضب، فتتول إلى عظة هادئة ممن خبر الحياة ودروبها للغلام الغرير العمر "هكذا مآل الأمر بالمقطع:

اخترس

أجبنى

فاشطب على

اجلس

انتظر

ومفتتح المقطع كأنه منطقة التهاب عاطفي أهوج مزمجر، تعلق فيه نبرة الخطاب، إذ هو موطن التحول الأولي عن الخبر السابق إلى الإنشاء الآتي.. أما

في الختام فالإنشاء ذاته يبدو أقرب إلى الهدوء والتعقل.. وذلك لمناخمة منطقة الخبر الأخيرة (فقلت له: من هم البلشفيك؟) إضافة إلى الأمر الرقيق: انتظر، هكذا الاستفهام هادئ، والأمر ليس عصبيًا!

ويتكاثف الإنشاء في المدونة بالأطراف بدءًا وانتهاءً، ومن المعلوم أن الشرقاوى قد صاغ نصه على هيئة خطاب لترومان، وكثير جدًا من النصوص التي أبدعت على شكل رسالة، واقتضى هذا أن تتأسس بنيته في مواضع على بعض تقنيات الرسالة/ الخطاب، مثل استخدام الدال (وبعد)، وهو ما يشير إلى انتقال من مقدمة أو تمهيد إلى صلب الرسالة أو غرضها الرئيسي.. أما (وبعد) فيسبقها بالنص إنشاء، ويتبعها إنشاء بما تقرر تمرکز الإنشاء بالأطراف كمواضع قارة تعلق بالذهن على نحو ما يقول الشرقاوى⁽⁴⁾:

فإن لم أقم بحقوق الوفاء لحامي حضارتنا الراهنة
فَهَبْ لِي خطيتي الشائنة
وبعد..

أقرأ هذا الكلام
إذا ما تداعيت فوق الطعام
تجرعُ بترول أرض "النبي" تُسبغ به بعض ما تزرد
وبعض الطعام عصي نكد
ومثله قول الدهشان⁽⁵⁾:

يا بوش لا تفرح فإنك لست غير مسيلمة
لص النبوة رام فخراً بالخصال المجرمة
هل غرَّ جهلك أن تصدّرتِ الرؤى المستسلمة
تلك التي تأتي لبيتك في خضوع محرمة

وبلا أبى بكر غدت كل البلاد المسلمة
والعدل غاب وسادت الدنيا رؤوس آئمة
يا بوش لا تفرح فأحلام الزعامة واهمة
ويخاطب فاروق جويده "على لسان طفلة البوسنة" بوش العظيم! فيقول⁽⁶⁾:
يا سيدى بوش العظيم
بالله يا مولاي كيف صمتُ
عن هذى المذابح؟
وبأى حق

سوف تطلب من صغير
ذاق طعم الموت يومًا أن يسامخ؟
وبأى حق / سوف تطلب من صغير
بعد أن قطعوا يديه بأن يصافخ؟ / الحق يا مولاي قد سكن الجوانح
مولاي قل لى / أى أرض ترغبون
وأى لون تعشقون / وأى دين ترفضون / قل لي بريك / أى نار تطلبون
إن كان يا مولاي نازًا / من صلاح الدين في حطين لا تغضب
فأنتم في رحاب القدس جهراً ترتعون.

فالإنشاء تقنية النص الغالبة، إذ يتردد النداء 5 مرات مع تغير المنادى لفظاً (يا
سيدى - يا مولاي) وبنية إذ يحذف حرف النداء مرة ويثبته في أربع، أما الاستفهام
فيتردد بأدواته (كيف - أى) ست مرات، إذ تتردد الأولى مرة يتيمة والثانية خمس
مرات، ولا يتردد الأمر إلا مرتين، والنهى إلا مرة واحدة.
أما النداء فيخاطب في الآخر قدرته وسلطته وسيطرته، يخاطب واقعاً تختلف

معه لكنك لا تستطيع إنكاره.. لذا فالمنادى يتسم بالسيادة والولاية.. وهو نداء منطقي حينما يصدر عن فتاة من أمة مستضعفة في دولة صغيرة تكالبت عليها قوى البغي كافة، أما الاستفهام فيكسر للتعجب والحيرة.

وتكاد النهايات الإيقاعية الحائية المترافقة تجعل من الاستفهامات الثلاثة الواردة وحدة متناغمة تقرر المخاصمة، وتؤسس للدهشة والعجب، أما رباعية (أى) الأخيرة فتعلي من شأن تعانص اللواحق مع النهايات الإيقاعية، ففي كل مرة يلحق بالأداة نكرة ثلاثية ساكنة الوسط منونة، يليها دالٌ فعليٌّ مضارعٌ من الأفعال الخمسة مرفوعٌ، وتنتهي التفعيلة الأولى بالبيت عند ساكن النكرة بالوسط، وتنتهي التفعيلة الثانية، عند واو الجماعة للمخاطبين، وتبقى النون نهاية واحدة أشبه بالروبي.

النداء

النداء بطابعه من أساليب الاستهلال، وهو بالمدونة في غالبه استهلاكي كذلك؛ إذ يرد بمطلع النص وفاتح المقطع غالبًا، ويجيء أحيانًا بنهاية المقطع وقليلًا بالحشو، وقد جاء النداء بمطلع نص الشرقاوي إذ يخاطب ترومان بقوله⁽⁷⁾:

يا سيدى

إليك السلام، وإن كنت تكرر هذا السلام

وتغري صنائعك المخلصين لكى يطشوا بدعاة السلام

وجاء النداء بمطلع النص عند الدهشان أكثر تحديدًا إذ يتأديه⁽⁸⁾

يا بوش لا تفرح فإنك لست غير مسيلمة

وقد جمع بين النداءين "جريدة" حين قال في مفتاح نصه⁽⁹⁾:

يا سيدى بوش العظيم

فى أرضنا حلم وفى أوطاننا

شعب يُغنى الحب

ينعم بالخيال

وقد بدأ جريدة جميع مفاتيح مقاطع النص التسعة، "يضاف إليها اثنتان بحشو المقطعين 8،9"، بنداء واحد هو: "يا سيدى بوش العظيم" ينطلق منه في كل مرة إلى جديد، ففكرير النداء يتجاوز تقرير دلالاته "سيادة وعظمة الآخر بوش" إلى التأسيس لمعنى جديد، هو في كل مرة مشهد جزئي تتكامل بضميمته إلى غيره أركان المشهد الكلي، ومن جميل نماذج هذا النمط قول جريدة⁽¹⁰⁾:

يا سيدى بوش العظيم

يا بابنًا العالى

ويا حضنَ اليتامى الضائعين

يا تاجَ هذا الكون

يا قُوتَ الحيارى الجائعين

أنا طفلةٌ

من أمة تُدعى بلاد المسلمين

وتعدد دوال المنادى هنا ليس لاختلاف المنادى ذاته، وإنما لتعدد صفاته،
وسطورة قدراته، وهيمته الكونية، والنداءات "1،2،4" فيها خطاب لجانب القوة
في بوش، وفيها خطاب للجانب الإنساني، أما النداء الأخير فلا أراه إلا ساخرًا،
والحقيقة أن الآخر المخاطب هو ناهب قوت الجائعين.

واستخدام العاطف "الواو" مع المنادى الثالث خفف من رتابة تتابع النداء
وانسجم مع مناظره ودافع النداء: (أنا طفلة)

واستفهام "أى" بالرباعية يبرز حيرة وسخط الطفلة المسلمة/ الذات الشاعرة-
من ممارسات الآخر الأمريكي العدوانية الإقصائية الانتقائية، وربما الانتقامية الثأرية.
وقد يأتي الإنشاء متابعًا بحشو النص أو بحشو المقطع، ويكون ذلك مع تنامي توتر
علاقة الذات بالآخر، وتنامي سخط الذات وغضبها، ومنه قول الدكتور قمبيح⁽¹¹⁾:

يا بوش حنانك يا بوش فَعَلَمَ غرورك منقوش؟

ويقول جريدة في (ارحل وعارك في يدك)⁽¹²⁾

كل الشواهد في غزة والجليل

الآن تحمل سُخطها الدامى

وتلعنُ والدَيْك

ماذا تبقى من حشود الموت

في بغداد.. قُلْ لي؟

ويقول الغاياتي مخاطبًا بوش⁽¹³⁾:

لنا خطرٌ على الأيام نام	رويدًا يا فتى التاريخ إنا
أساندةُ الورى من عهد سام	جَمَعْنَا الدينَ والدنيا وكنّا
بمجدٍ في دُرِّ الأهرام سام	فمن أنتم إذا افتخرت شعوبٌ
وما كتم هنالك في الأنام	لنا ما كان من مجدٍ تليد
أضناه وأنتم في ظلام	فإن شتم سلو التاريخ إنا

.....

وكان الإنجليز لكم رؤوسًا فهل رفعوا لكم هامَ احترام؟

ألم يدعوا فِماكمُم مباحًا لروادِ الخصام والاحتكام

ويأتي النداء في نهاية المقطع مع تصاعد وتيرة الخطاب، فكأن النداء هنا يبحث
للمقطع عن قرار لن يكون إلا بعد إفراغ تام لكامل الرسالة المقصودة هذا ما يلقانا
في قول جريدة⁽¹⁴⁾:

هيهات يا مولاي أن يجدى

البكاء على الرفات/ فالعدل يا مولاي مات

والصبح يا مولاي مات/ والحق يا مولاي مات

عصر قبيح/ تطلقون عليه عصر المعجزات

وأنا أسمى العصر يا شيطان/ عصر الموبقات

إن هذه النداءات ترد بالمقطع السادس الأطول بالنص، يحكي فظائع الآخر بالبوسنة في زمن التخث والتشردم والشتات^(١٣):

في عالم قُطع الرقاب/ وأشعل النيران

في صدر العذارى المؤمنات/ في عالم

جعل البطون خنادقاً للموت/ أطلق في بيوت الله

رجس المعصيات/ في عالم

فقاً العيون وغاص في دم الصغار/ وأسكت الصلوات

في عالم أعطى الكلاب الحق/ في عرض البنات.

والنداءات هنا كأنها عتاب المغيظ المُحتق في "عصر قبيح" هو عصر الموبقات، يتحكم فيه الآخر، ويموت فيه العدل والحق والجمال، وربما "الأمل" وعليه فلا عجب أن يختم المقطع بالنداء النوعي: "يا شيطان"

أما النداء بالحشو فنماذجه بالمدونة قليلة، وتأتي متوافقة مع حالات الهدوء وخطاب العقل.. فحينما يريد المبدع إقرار حقيقة أو إبراز فضيحة أتاها الآخر يناديه منفعلاً، ويخاطبه بكل ما من شأنه أن يوقفه أمام الحقيقة.. الفضيحة... ومن ذلك نداء الشرقاوي لترومان^(١٤):

سألتك يا سيدى.. يا إله/ ويا من يميناه سر الحياة:

أتقرأ هذا الخطاب القصير إذا ما تناولت عند الصباح

شراب الدم الساخن المستباح.

الاستفهام

وقد تردد الاستفهام بالمدونة كاشفًا عن علاقة الأنا المبدعة بالآخر، وتغلب على دلالة التعجب والسخرية والحيرة حيال ممارسات الآخر غير المفهومة والمنحازة لخصم الذات، والمخالفة لكل القيم الإنسانية التي تشدق الآخر بترديدها، وربما محاكمة الذات بسببها، كونها فزاعة، تهرب كل مقاوم يتأبى على دخول الحظيرة، ويغرد خارج السرب - أو لا يلتزم الخطة المرسومة.

لقد جاء الاستفهام في أغلب نماذجه أشبه بأسئلة الادعاء التي يمارسها القضاة لإقامة الدليل على خيانة المتهم وإجرامه وكشف الحقيقة، وقد اقتضت طبيعة الاستفهام أن يكثر بالحشو، فلم يرد في مطلع نص، وإن جاء بنهاية المقطع وبما يشبه فاتح المقطع، ومن ذلك قول الغاياتي⁽¹⁷⁾:

أراك قد جهلت فليت شعري أباضي الحرب أنت أم السلام؟

تهب فترسل البهتان فينا وترمينا بطائشة السهام

فهل أعداك طبع الوحش حتى عيست وأنت في دار ابتسام؟

والاستفهام في الأبيات يكشف عن وطنية الغاياتي وشجاعته المعهودتين، ويوقف الآخر أمام الحقيقة عارية من أى نفاق أو تجميل.. والاستفهام الأخير فاضح يكشف عن وحشية الآخر، وافتقاده للذكاء الاجتماعي.

وتردد الاستفهام بنهاية المقطع والنص، وكأنه حينذاك يترك للآخر من الوقت ما يسعفه على إدراك الحقيقة ومراجعة الذات، ومن ذلك قول قميحة⁽¹⁸⁾:

أدماء يهودٍ قد صيغت من ذهب صافٍ ونقاء
ودمٌ ابنِ فلسطينِ ماءً لا يتأهل أي رثاء؟
قل لي: من فينا الإرهابي من فينا يا بوش المجرم؟
من فينا عاملٌ تخريب من فينا ذو عقلٍ مظلّم؟
ومثله قول جريدة كاشفاً عن حيرة بالغة وأسى عميق⁽¹⁹⁾:

لم يبق من أشلاء بوسة غيرُ خوفٍ أو سؤال
لم لا نعيش بأرضنا لم لا تظل منابر الإسلام تاجاً بيننا
جئنا إلى الدنيا رأينا الحب يسكن كل شيء؟ حولنا
ماذا ذنبنا؟ ماذا ذنبنا؟

أما الحيرة والدهشة فيعمقانهما الاستفهامان الأولان المتبقيان، وهما يجسدان معاً فتاة البوسة وقد ذهلت، فزاغت عيناها واهتزت رأسها مندهشة حائرة تتساءل! أما الاستفهام الأخير المتكرر فيقرر أسى الفتاة، ومرارة إحساسها بالظلم، ومنه قوله أيضاً يؤيس الآخر من غفران أو هناء⁽²⁰⁾:

في كل عصر سوف تبدو قصة
مجهولة العنوان/ في كل عهد سوف تبدو صورة
للزيف- والتضليل- والبهتان/ في كل عصر سوف يبدو
وجْهك الموصومُ بالكذب الرخيص/ فكيف ترجو العفو والغفران
قل لي بربك/ كيف تنجو الآن من هذا الهوان؟
ما أسوأ الإنسان/ حين يبيع سر الله للشيطان!
والاستفهام هنا أقرب إلى الهُزْءِ بالآخر، وإلى أن يرقى في انسياب، فالوجه

موصوم "وليس موسوماً" بالكذب الرخيص-، ويسهم أسلوب التعجب الأخير في تجسيم عجب المبدع من الآخر إذ يرقى إلى رتبة الإشفاق.

وقد يأتي الاستفهام بالحشو منفرداً ومتابعاً؛ يأتي منفرداً إذ يكشف عن حالة متعلقة من الدهشة تتاب المبدع، لتقرر أمراً يبدو عارضاً لواحديته، لكنه بالسياق فاعلٌ على نحو ما نجد في قول جويده (21):

هذا كتابك في يدك

فكيف تحلم أن ترى... / عند النهاية صفحة بيضاء

الأمرفات... / ولن تُعيدك للهداية توبة عرجاء

ومنه قول الشرقاوي (22):

وإني لأعجب لم صورك حديد الفؤاد بليد الشعور

وأعلم أنك تهوى الزهور/ فتتشد ألوانها في الدماء

أما الاستفهام المتتابع في الحشو فيعبر عن حالة هياج، وانفعال وعاطفة تتلبس بالمبدع، فتمضي سؤالاته حيرى متعددة المناحي، متنوعة الأداة، تكشف عن غضب عارم، ومن ذلك قول الشرقاوي (23) أترمي حمامتنا بالنسور؟

معاذ الأبوة يا سيدى - فأت أب: وكلانا حنون

ألست تصون حياة ابتك/ فهل تصنع الموت للأخريات؟

وإني لأدعوك باسم الأبوة - باسم الحياة - وباسم الصغار

لتعقد حلقة يصون السلام ويرعى المودات بين الكبار

فأت أب قد صنعت الحياة ولن تصنع الموت بعد الحياة

لماذا إذا يا إلهي الرحيم يذيعون حولك هذا الجنون؟؟

ولكن لمن كل هذا العديد؟ / وتلك الحشود؟
ولكن لمن كل هذا الهزيم؟ / لمن كل هذي النافثات السموم؟
لمن هذه الناشرات الجعيم؟ / لمن تسرق اليوم أقواتنا لتصنع ما شئت من فاتكات؟
لمن تحشد اليوم في السباحات، وفي الغائصات، وفي الطائرات وفي الناشطات
لمن هذه الذاريات الحطام .. لمن؟ .. لمن هذه النازعات؟
لمن كل هذا؟! لغزو السماء؟ .. لتصنع معجزة؟!

بل لنا

لتحطينا

(...)

لتمزيق أجساد أطفالنا؟!
ولكن .. كفى (لن تنال ابنتي / وأقسم أن لن تنال ابنتي!
أنطفى نظرتها الباسمة / أقطع أطرافها الناعمة؟!
أتجرى دماء ابنتي في غد كنافورة ثرة تنسكب
أنتشر أشلاءها اليافعات على حيث تضحك بين اللعب؟
أتمزج لحم ابنتي بالتراب!!
كفى أيها هذا الإله الذي يلطخ بالرحل طهر السحاب!!
أنتهش هذا الكيان النضر / كفى أيها الهمجي الرهيب (كفى أيها الإله القدر)!
ولا يأتي الاستفهام بنهاية النص إلا مرة يتيمة عند الدكتور قميحة، وفيه
يرد الدكتور على بوش تهمة الإرهاب والإجرام، فبعد حديثه عن ضحايا
الأخر من المظلومين واليتامى والآباء المفجوعين وبقايا الأطفال الهائمين

والشيوخ الحيارى والثكالى الضائعين، يصب جام غضبه حمماً كالإعصار
على الآخر، فيخاطبه⁽²⁴⁾

من فيهم - قل لي - العدوانى	من فيهم في الشرّ ضليغ؟
من فيهم - قل لي - الإرهابى	من فيهم يا بوش المجرم؟
من فيهم عاملُ تخريب	من فيهم ذو عقل مظلم؟
والله لأنّ الإرهابى	والله ما غيرك مجرم

الأمر

يستدعي الأمر النهي، والعكس، وفي حين وجود الأمر حين يُراد إلى تحلية الآخر بالفضائل والمكرّمات، وجود النهي حين يُقصد إلى تخلي الآخر عن رذائل أو موبقات، وفي حين لم يرغب غالب شعراء المدونة في فعل يأتيه الآخر لصالحهم فقد رغّب غالبهم في أن يكفّ الآخر فحسب عن إلحاق الأذى بهم، ولذا فقد كثُر النهي بالمدونة على الأمر، ولأن التحلية أحياناً ما تستوجب التخلية، خاصة في إطار التقويم والتربية، فقد توافق الأمر والنهي في مواضع عدة بالمدونة، ومن ذلك قول جريدة في وداع بوش؛ إذ دعاه كلا الأمر والنهي إلى الرحيل غير مأسوف عليه، وذلك في قوله:

كلّ الذي أخفيتهُ يبدو عليك / فاخلفُ ثيابك وارتحلْ

اعتذرت أن تمضي أمام الناس دوماً / عاريّاً

فارحل وعارك في يديك / لا تنتظر طفلاً يتيمًا بابتسامته / البرية

أن يُقبَلْ وجتيتك / لا تنتظر عصفورة بيضاء أن تغفو

في ثيابك / ربما سكنت إليك / لا تنتظر أمّاً تطاردها دموعُ / الراحلين

لعلّها تبكي عليك / لا تنتظر صفحاً جميلاً / فالدماء السود ما زالت تلوّثُ / راحتيك.

ومن نماذج الأمر القليلة بالمدونة ما ورد في قصيدة "في وداع بوش، ارحل وعارك في يديك" إذ يتكرر أمر العنوان بالتعبير ذاته كاملاً في مفاتيح المقاطع، منطلقاً في كلّ مرة للتأسيس لفكرة جديدة تنضاف إلى أخواتها لترسيم المشهد الكامل، وجريدة في نهاية النص يعلي من سلطته الأمرة للآخر بثلاثة من أفعال

الأمر للكشف عن حالة ضيق المبدع بالآخر؛ إذ يقول:

فاخلع ثيابك وارتحل

وارحل وعارك في يديك

فالأرض كل الأرض ساخطة عليك

التناص

النص الأدبي في أيّ عصر والشعر في القلب منه، ليس منقطع الصلة بغيره من النصوص، وقد تكاثرت الأقوال الداهية إلى ضرورة تلاقي النصوص وتبادلها العطاء والأخذ، ومن تلك المقولات الصائبة ما يراه الدكتور رجاء عيد حين قال: "كل نص هو إنتاج متّج، ومنها كل نص هو إعادة تشكيل لنص آخر وكل نص إنما هو محوّل من نص آخر"^(١)

وهذا التكافل بين النصوص فيما يتعلق بعملية إنتاج النص هو ما اتفق على تسميته حديثاً بمصطلح التناص، فالنص كما يرى الدكتور صلاح فضل:

"عملية استبدال من نصوص أخرى أى عملية تناص Intertextuality ففي فضاء النص تتقاطع أقوال عديدة، مأخوذة من نصوص أخرى"^(٢) وليس بالضرورة أن تكون علاقته النص بغيره علاقة توافقية، فلربما كانت تخالفية نقضية، ف "إنتاج النص الشعري يتم خلال حركة مركبة من إثبات/ نفي نصوص أخرى"^(٣)

وقد ألبأ التراجع الحضاري للذات في العصر الحديث، في مقابل التفوق الحضاري الذي يسم الآخر ألبأ الذات إلى ماضيها الزاهر، الذي تفوقت فيه على الآخر، إضافة إلى هذا فقد وظف شعراء المرونة تقنيات ورموزاً وأحداثاً معاصرة وحديثة، إما لكونها فاضحة للآخر، وإما لأن الرموز المعاصرة تمثل منطقة مشتركة بين الأنا والآخر، وقد بدا واضحاً استثمار الشاعر المصري الحديث للألفاظ الأجنبية (الإنجليزية غالباً) في خطاب الآخر بوصفها ألفاظاً تحمل من رسالة المبدع قدرًا من تحدٍّ أو سخرية أو عتاب.

الشاعر إذًا في المدونة استطاع أن يوظف من مفردات القديم والحديث ما

أسهم في جمالية الرسالة الإبداعية، وعزز من موقف المبدع تجاه الآخر (المتلقي الخاص) والمتلقي (العام).

وقد اتكأ الشاعر المصري على دوال الإنسان والمكان واللفظ الأجنبي في مواجهته للآخر.

أما الإنسان فقد استدعاه الشاعر من التراث المجيد المترسب في الوعي الذاتي والجمعي، إذ بالتراث شخصيات عديدة يستصحب ما ارتبطت به حال ذكرنا، إيجاباً أو سلباً.

والاختيار الواعي للشخصية هو أول مراحل التوفيق في الاستدعاء الإبداعي لشخصيات التراث يليه التأويل الإبداعي الخاص متلائماً مع طبيعة التجربة والسياق، وربما كان من أمارات التوفيق إضفاء لمسة المعاصرة على هذا التوظيف.. ذلك ما نجده في قول الدهشان:

يا بوش لا تفرح فإنك لست غير مسيلمة

لص النبوة رام فخراً بالخصال المجرمة

هل غرَّ وجهك أن تصدرت الرؤى المستسلمة

تلك التي تأتي لبيتك في خنوع محزومة

ويلا أبي بكر غَدَتْ كُلُّ البلاد المسلمة^(١)

وبالنص توظيف بديع لشخصيتين تراثيتين هما: مسيلمة وأبو بكر، ولكل منهما في وعي الأمة العربية المسلمة رصيْدٌ وجداني وإن كان مختلفاً.. أولهما دعِيٌّ كذاب، وثانيها أول خليفة وثاني اثنين إذ هما في الغار، أولهما أناي مدمر، وثانيها إنساني النزعة متسامح.

استصحب الشاعر هذه المفارقات بين الشخصيتين ربما ليكشف عن ثنائية معاصرة جمعته بالآخر.

وتبقى شخصية صلاح الدين بما تستدعيه إلى ذاكرة الأمة من أحداث وحروب تتصل بمقاومة المعتدين ودحر الطغاة الظالمين حاضرة حية لدى طرفي الصراع، وإن اختلف المنظور.

وقد استجاب لهذا الحضور "فاروق جويدة" بذكاء واضح وإبداعية ليست غريبة عليه، حين حادث بوش واعيا ومذكرا بماض تليد لم يكن الآخر طرفا فيه.. يقول:

أَيُّ ثَأرٍ تطلبون/ إن كان يا مولاي ثَأراً

من صلاح الدين في حطين لا تغضب/ فأنتم في رحاب القدس جهراً ترتعون
إن كان ثَأراً من قلوبِ أمت/ فالله يهدي من يشاء

ولن يضل المهتدون^(٥)

والشاعر هنا يُؤبِّخ الآخر بوضوح؛ إذ يراه طالباً لثأر، على جريمة لم تكن.. فما كان انتصار صلاح الدين في حطين عدواناً بل كان استرداداً لحقٍّ مفصولٍ ووطنٍ مسلوبٍ من عدوٍّ مورتورٍ مأفون.

وربما وظَّف الشاعرُ المصري الحديث في حوارهِ للآخر الأمريكي في موضع واحد شخصيتين إحداهما حديثة والأخرى تراثية، لكلٍّ منهما رصيدها الكامن ورمزيتها الدالة لدى المثقف العربي المعاصر، هكذا فعل على الغاياتي، إذ يقول لروزفلت:

فإن شتمتم سلّوا التاريخ إنّا	أضأناه وأنتم في ظلام
وإن شتمتم سلّوا عنا كؤلُمبو	يخبركم بما قالت حذام
وفى الأسبان آيات عظام	تذكركم بآيات عظام
لقد كتتم لأهل الأرض نهباً	وكانت أرضكم أرض اغتنام
وكان الإنجليز لكم رؤوساً	فهل رفعوا لكم هاماً احترام ^(٦)

إن الغاياتي هنا يستدعي شخصيتي "خرستوف كولمبو، وحذام"، أما حذام

فقولها الصدق، لا تعدوه.. يقول الشاعر القديم:

إذا قالت حَذَامُ قَصْدُ قَوْلِهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامُ

أما "كولمبو" فهو مكتشف أمريكا، إيطالي الأصل، إبان خدمته مدة للحكومة الإسبانية، اكتشف أمريكا، والغاياتي يريد من استدعائه للشخصيتين من الأمريكان التعرف أو الالتفات إلى حداثة نشأتهم وتكون دولتهم، وإلى الفظائع التي ارتكبت في سبيل السيطرة على سكان البلاد الأصليين.

وفي أكثر نصوص المدونة حداثةً يستدعى الدكتور تيمور من عقب التاريخ الزاهر رمزاً من رموز الإبداع الجاهلي هو "امرؤ القيس" مع قبي من إبداعه الشعري، ففي نهاية ديوانه يقول:

قارفتُ في صبايَ أخطاءَ الصِّبا

شاهدةٌ علىَّ أطلالُ الدُّخُولِ / شاهدٌ سقط اللُّوى

لكنما خطيئةٌ كالكذبِ / في تاريخي الذي أحيتُهُ

في كل أشعاري التي حيَّتها / لم أقترفَ^(١)

فهو هنا ينصُّص من قول امرئ القيس في مطلع معلقته:

قِفَا تَبْكُ من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ بسقط اللوى بين الدُّخُولِ فَحَوْلِي^(٢)

والدكتور تيمور هنا لا يرى نفسه من أخطاء الصبا كما هو حال امرئ القيس في الحب والغزل وشيء من الإقبال على ملذات الحياة.. لكنما خطيئة الكذب.. لم أقترف.. وهكذا يبرأ من الكذب... وربما يتهم به الآخر هنا.

ومن تنصيب الشعر الحديث ما استدعاه الغاياتي من شعر شوقي، في توافق للسياقين، فالمخاطب واحد فيهما هو روزفلت.. يقول الغاياتي له:

ودونك من بنات الشعر بيتًا رواه النيل عن رَبِّ الكلامِ
خطبتَ فكنْتَ خطبًا لا خطيبًا أضيفَ إلى مصائنا الحِسامِ⁽⁹⁾
والبيت الثاني في الشوقيات.

أما اللفظ الأجنبي الأمريكي، فكثيرًا ما يلقانا، في المدونة، إذ يمثل نصفها من الوجهة النظرية باعتبار المدونة قسمة بين الذات والآخر.. وقد جاء طبيعيًا تردد الرمز الأمريكي بالمدونة علمًا، ومكانًا، ولفظًا، ومفردات حضارة أو سلوكيات حياة.

وقد جاء الرمز الأمريكي بالمدونة علمًا من أعلام أمريكا رئيسًا أو عالمًا أو فنانيًا ارتبط في وجدان الإنسانية بأمريكا، وله في هذا الوجدان رصيدٌ مستصحب تلقائيًا مقرونٌ بالاسم، ومن ذلك خطاب الشاعر المصري لروزفلت وترومان وبوش وأيزنهاور، وذكره لريجان وكارتر وشارلي شابلن ومادونا وهمنجواي وديلسون وكندى⁽¹¹⁾

أما المكان الأمريكي فقد ذكر الشاعر المصري في المدونة عديدًا من الأماكن الأمريكية الشهيرة في تناغم يبدع صورة متسقة، ربما كشفت عن خصوصيات المكان.. كما في قول تيمور:

”أمركا..

مُجْتَرَّةٌ رِخَاءُهَا/ كَنَافَةٌ تَبْسُطُ زَنْدِيهَا عَلَى يَدَيِ الْأَرِيْزُونَا

ورجلِها على قَلَاةٍ يَنْفَادَا تَمْضُغُ اشْتِيَاقَهَا إِلَى الْجَمَلِ⁽¹²⁾

وتوظيف المكان في ديوان تيمور، يكشف عن وعي دقيق بخصائص المكان، ومفرداته النوعية، وينمُّ عن مبدع عاينٍ وخبيرٍ، فكانت له رؤيته الخاصة التي شكلت رؤاه الإبداعية.. نلقى هذا كله حينما حشد عديدًا من أسماء ولايات أمريكا ومدنها الكبيرة مقرونة بما تختصُّ به وتشتهر.. يقول:

أمركا

عَجِيْنَةٌ مِنَ الْمَكَافِحِينَ وَالْمَغَامِرِينَ/ مِنْ رَائِدِيْ اكْتِشَافِ كُلِّ بُوصَةٍ فِي الْأَرْضِ

والمقامرين/ والباحثين عن عروق الذهب الخام/ بكاليفورنيا
والباحثين عنه في معامل الأبحاث/ في دالاس
وفى مخلفات مصنع للعربات/ في شمال شرق ديترويت
وحول تكساس

فى مزارع الغلال/ أو صوامع الطحين
والباحثين عنه في مملكة السحر/ بدنيا والت ديزنى
فى شخص مسرحي "بيكر ووليامز" الشديدة الغنى/ بعالمهما الثمين"^(١١)
أما اللفظُ الأجنبي الأمريكي فقد زاحم العربيَّ الفصيحَ في مواضع عدة من
ديوان الدكتور تيمور"^(١٢) ولا شك أن معيشة تيمور بأمريكا فترة، وكذا مهنته التى
تجعله وثيق الصلة بالمصطلحات الإنجليزية قد يسرَّ له أن يُحسن توظيف اللفظ
الأجنبي إلى جوار الفصحى كما فى قوله:
أمركا

سَلَطَةٌ مِنْ بَنْجَرِ الفجور فى ليلِ البَلَاءِ بُوى
وكرفس متعة الحضور فى صحن مسارح البرودواى
وخيار الكدح فى مواقع النهار/ حيث لا خيار إلا للعمل
سلطة فاخرة المذهب/ تكتسي بمعطف البلوتشيز
أو طيالس المَيُونيز

غير أن الفُلُقْلَ المتفوق فى أنساغها
ما انفكَّ يحسني شرايها الأثير/ من ماء البصل"^(١٣)

فبالنص يتجاوز ويتجاوز اللفظان العربي الأصيل والأجنبي الوافد، على نحوٍ
سلسٍ لا يتأبى على قبول أيهما إيقاعٌ أو تصويرٌ، بل إن الألفاظ الأجنبية لتسهم في
تنعيم نهايات الأبيات بحيث بدت كقوافي مستقرة كما فى (البلوتشيز والميونيز)

وبالنص من المفتوح حتى النهاية تتعاقب الدوال العربية والدخيلة والمعربة، في تعايشٍ لَمَّا ينعم به أصحابها في الحياة.. فالى جوار البنجر والقلقل المنقوع وماء البصل، هناك: البلاى بوى، والبرودواى والبلوتشيز والميونيز..

وما بين التعبير الأقرب إلى العامية (ماء البصل) والتعبير الفصيح (أنساغ) يتعزز حضور اللفظ العربي من مبدأ النص وحتى انتهاءه، وكأنه انحيازٌ هُوِيَّةٌ عبر انحياز لغوي، فأياً ما كانت كثافة تردد اللفظ الأجنبي عند الدكتور تيمور، فما زالت لغة إبداعه وإطاره وقواعده المرعية عربية.. القلب والروح واللسان.

أما ألفاظ الحضارة وسلوكات الحياة الخاصة بالآخر، فورد منها بالمدونة حديث عن طاعون العصر، الإيدز، في سياق ساخر دال على تفسيخ الآخر الأخلاقي، إذ يقول تيمور:

”أمركا..

حافطةٌ مُنَحَمَةٌ بعشرة من البطاقات البلاستيك المُمَفْتَطَة

وألف ألف رغبة فورية/ رسومها مُقَسَّطَة/ ونصف دستة

من العوازل الطيبة التي تردُّ كَيْدَ الإيدز/ إذ تردُّ طَارِئَ الْحَبْلِ “^(١٦)

أما الصدور عن القرآن^(١٧) فسمّةٌ مشتركةٌ بين شعراء المدونة مع تباين مشاربهم واختلاف منطلقاتهم الأيديولوجية، فجميع الشعراء نصّص آيات من القرآن أو الألفاظ منه.. ويبدو فاروق جويده أروعهم في هذا، إذ دلت مظاهر تناصه في مواضعها على دقة فهم لمعاني الآيات فتأثّى له حسن توظيفها على نحو ما نجد في قوله:

الله جلّ جلاله.. في كل شيء/ كَرَّمَ الإنسان

لا فرق في لون.. ولا دين/ ولا لغة.. ولا أوطان

”خلق الإنسانَ علَّمَهُ الْيَتَانَ“/ الشمس والقمرُ البديعُ

على سماء الحب يلتقيان/ العدل والحقُّ الماثبُرُ

والضمير.. هدى لكل زمان/ كلّ الذى في الكون يقرأ سورة الإنسان

يرسم صورة الإنسان/ فالله وَحَدَّنَا.. وَفَرَّقَ بَيْنَا
الشَّيْطَانَ

فالآية "خلق الإنسان علمه البيان" من سورة الرحمن تتبعها آية أخرى
بالنفي، أسهم في تغيير اللاحقة البشرية (البديع) باللاحقة القرآنية (بحسبان) في
يُسِرُّ التَّحَوُّلَ عن القرآني إلى البشري في النص، بحيث بدا المعطوفان السماويان
كلفظين أرصين ليسا قرآنيين.

ويتخذ "الدكتور قميحة" من الدال القرآني (أبائلاً) متكناً يوظفه للدلالة على
قدرات الآخر التدميرية الإهلاكية.. يخاطب بوش فيقول:

وملأتَ البحرَ أساطيلاً وشحنتَ الجوَّ أبائِلاً
وجيوشٌ في البرِّ ألوفٌ غطَّتْ ودياننا وشهولاً^(١٨)

فالأفعال "ملأت، شحنت، غطت" تفيد مع نواحي الكون الثلاثة "البحر والجو
والبر" في تجسيد قدرات الآخر التدميرية.. ولأن سلاح الجو المملوك للآخر يظل
حتى اللحظة أمضى أسلحته وأفتكها وأكثرها حسماً لصالحه.. واستدعاء للمهاد
القرآني، فإن (أبائلاً) يتفق على نحو إبداعي متميز مع مقصد الرسالة الشعري،
فطائرات الآخر بالجو كالأبائيل تجعل الخصم كمصف مأكول. ومثله قول تيمور:
"أمركا.. رعاةً أبقارٍ بغير قُبَعَاتٍ (..) أبقارُهم شُقراء

لوئها يسرُّ الناظرين"^(١٩)

والتناص هنا يجعل أبقار الآخر كبقرة بنى إسرائيل الواردة بسورة البقرة،
وكلاهما يُعْنَى بالجمال الظاهر فيما يبدو.. واللجاج.. لقد غيَّرَ الشاعرُ في وصف
القرآن لون البقرة كونه أصفر فاقماً فجعلها شقراء على نحو يستقيم ومهاد النص
الشعري، دون افتتاح على السياق القرآني، وهو إجراء فيه من الإبداع والإيمان ما
يرقى بالنص إلى مستوى لا يطاله نص لم يزينه القرآن.

الصورة

ذهب كثيرون إلى القول بأن الصورة الشعرية هي "جوهر فن الشعر"^(١)، وأنها "أهمُّ خصائص التعبير الشعري"^(٢)، وأنها "الخاصية الأساسية للشعر منذ تكلم الإنسان البدائي شعراً"^(٣). وقد تماهت الحدود الفاصلة بين القصيدة والصورة عند "سي داي لويس"، فقال: "الصورة هي الشيء الثابت في الشعر كله، وكلُّ قصيدة إنما هي في ذاتها صورة"^(٤)، "ويمقدور دراسة الصورة الشعرية أن تلقي من الضوء على الشعر ما لا تلقية دراسة أي جانبٍ آخر من عناصره"^(٥)

وقد تجاوز النقد الحديث خطأ انحصار الصورة في المجاز، ويدا منطقياً وواعياً، حيث نظر إلى الصورة من خلال وظيفتها الجمالية، وليس من خلال قوالبها التقليدية المؤطرة، فبدأ أكثر واقعية وتسامحاً.

إن الصورة من خلال أليات بنائها ومقاصدها الإبداعية اللتين تسمان بالفردة والطزاجة. بحيث تُبنى الصورة دائماً على علاقات تتسم بالجدة والطرافة- تؤدي للنص وللمتلقي على سواءٍ ما لا يؤديه مكونٌ آخر من مكونات الشعر. وقلما ترد الصورة بالمدونة عَرَضاً بالنص، تظهر كالومضة، وتبدو قالباً مساعداً وداعماً لفكرة رئيسة يُعتمد لإبرازها على تقنية أخرى غير الصورة، كالسرد أو الوصف أو الإنشاء أو غيرها. وأكثر مجيء الصورة متتابعةً متكاتفَةً، يتوحد نمطها أو يتنوّع، وحينذاك تبدو الصورة هي القيمة المهيمنة والتقنية المسيطرة، وقد استطاع الشاعر المصري استثمار إمكانات الصورة استثماراً إبداعياً منحة القدرة على امتطائها سبيلاً للبحر بما لا يسعفه غيرُها على الإفصاح عنه.

نمط الصورة الشعرية بالمدونة:

1 - الصورة الجزئية

ترد الصورة الجزئية بسياقها داعمةً للفكرة التي يقصدها الشاعر وتأتي في قالب الاستعارة أو التشبيه أو الكناية، أو بالتعبير الحقيقي العاري عن أي من صور المجاز، لكنه المقعم بكل امتيازات الخيال، ومنه قول الشرقاوي⁽⁶⁾:

وانى لأركعُ مُستغفراً مثولى في هيئة مزرية
بجلد يصيحُ عليه السواد وتلفحه شمس إفريقيا!!
وما حيلتى.. ليس فيما لدى من العلم شيءٌ لصنغ الجلود
فاظهر لنا آية يا إلهي تُبَيِّد السواد.. وكَمْ ذا تبَيَّدَا

فالاستعارة في "جلد يصيح عليه السواد" تقرر مخالفة الذات للآخر، وتعزز من انتماء الذات لمحيطها الجغرافي، وربما أثارت تلك الاستعارة في ضمير الآخر وخزاً لا يمكنه الفكك منه لما اقترفته يداه بـسكان أمريكا الأصليين، وبعنصريته البغيضة الفاضحة التي لن ينساها التاريخ حين اقترفت أيادي حكام أمريكا ضد السود تمييزاً عنصرياً مقيتاً. ومنه قول الدكتور تيمور⁽⁷⁾:

أمريكا

مسافة من الزمان المعدنى

صافّة جناحها.. / طائرة بريّة

قافرة فوق ذرى الآماد/ في نزق/ وزهرة وحشية

تحاصر الجهات حولها / بكل مالها من قوة في اللون والعبق

وتكتسب الصورة هنا قدرًا كبيرًا من جمالها، بل ربما هي تتأسس بالأصالة على

المفارقة الإسنادية أو التفارق بين المنعوت ونعته، فالزهور رمز الجمال والبهجة والحب ووصف الزهرة بالوحشية يقرر أكثر من شيء، أولاً: هو يشير إلى القوة الناعمة التي تميز الآخر، فهو يستخدم الإعلام والدبلوماسية والمال ليحقق مقاصد سياسية، فإن لم تُجدِ واحدة من هذه أو جميعها نفعا كشفت الزهرة عن وحشيتها، وثانياً: يشير الوصف إلى تناقض المخبّر والمظهر لدى الآخر (أمركا):

الزهرة	وحشية
(نبات)	(حيوان)
رفيقة ناعمة	عدوانية
تشير البهجة	تشير الفزع

وتشير تأسيساً على هذا التناقض إلى طابع الغدر المتأصل؛ إذ يُخفي الآخر وحشيته المستكنة داخل إطار جمالي خادع، ولذا يداهمك خطرهما.. ذهبت تطلب الرحيق فإذا.. يلتهمك الحريق.

وفي البيت التالي "تحاصر الجهات" إشارة إلى قوة السيطرة التي تمتلكها تلك الزهرة/ أمركا، إذ لا تحاصرها الجهات بل هي التي تحاصرها.

أما البيت الأخير، فيقرر من جديد استثمار الزهرة لإمكاناتها في الحصار، وكان البيت التاليين لموضع الصورة بياناً تفسيريّاً، إذ تخلى الأخير عن إمكانات الزهرة، في حين يكرس سابقه لتأصيل الوحشية، ومثله قوله أيضاً⁽⁸⁾:

أمركا (...)/ من متى عام

أتانا طبق من السماء طائر/ للآن لم يعد

إلى السماء/ ذلك الطبق

ويحكى الدكتور تيمور عن قدرة أمريكا العلمية، عن طريق الاستمارة، فيقول⁽⁹⁾:

أمركا/ معامل (...)

يفجّرون الذرة فوق طاولاتها تفجيرًا

ويرتقون بالإبرة/ ثوبها الذي انفتق

ومن النمط التصويري الراقي قول الشراقوي- يحكي عن فظائع الإنجليز

بمصر إبان الاحتلال؛ إذ يقول^(١٥):

... ولما كبرتُ لبستُ الحذاء ووَلَّيتُ وجهي إلى القاهرة

فأبصرتُ من تحت ثقل السلاح وجوههمُ الجهمّة الحائرة

وكنْتُ أراهم وهم يركلون فتًى في طريقهم... أو فتاة

وقد ينزعون حجاب امرأة/ فتصرخ "ويلي من الإنجليز"

وقد يعبثون بشيخ عجوز/ فيملأني الرعب مما أراه- ويرهق سمعي- ما لم أَرَه

وبالبيت الأخير صورة تكشف حجم فظائع الإنجليز في قوله: (يملأني

الرعب)، (ويرهق سمعي)، ومع أن التعبير السمعي يفقد شيئًا من بريقه التخيلي

لكثرة استخدامه فإن المقابلة بين (ما أراه، وما لم أَرَه) ترشح لعودة كثير من بريقه

المفقود إلى رحاب الصورة مجددًا، فطالما أن الرعب يملأ الشاعر لما رآه استنادًا

إلى الرؤية البصرية، فاليقين أن ما يرهق سمعه مما لم يره.. وَقَعَ، واقترفته يُد

الإنجليز، فالمشاهد يُسعف على تصديق المسموع، وبالأبيات ما يشير إلى قدرات

تعطي التعابير الحقيقية العارية من أي نوع مجازيٍّ تعزز فاعليتها في ترسيم صورة

إبداعية ربما لا تسعف المبدع غيرها في موضعها، فالبيت الثاني يرسم لعدوانية

الآخر/ الإنجليز، وقد حججهم السلاح الثقيل، ويرسم لظلمهم وعدوانيتهم وعدم

تعاطفهم، فمع كل لفظة بالبيت يرتسم للقارئ شيء من صورة هؤلاء..

وبالبيت الثالث يرسم الحذف الطباعي (...) قبل العاطف كيف أن التحضر

يفارق الإنجليز إذ لا فارق لديهم بين أن يركلوا فتى.. أو فتاة
وبالرابع تأكيداً على مجافاة طباع المروءة والإنسانية للآخر، إذ لا يراعي حرمة النساء-
ومن قبل الفتى والفتاة- وها هو مجدداً في البيت السادس لا يراعي شيخوخة العجوز.
وفي المفارقة بين الجمع الخاص دائماً بالإنجليز (ويركلون..) وبين المفرد
الأعزل الخاص بما يتصل بالذات ما يؤكد قوة الآخر وامتلاكه "الفعل" وضعف
الذات إذ هو المفعول به دائماً.. يستمر هذا حتى في موضع الصورة الاستعارية
بالختام. يكرّس هذا الضعف ويقرره تنكير المفرد المفعول به، ما يضيف إلى الآخر
سمة العدوانية التي تصل إلى حد اللاإنسانية. ومن ذلك قول جويده (11):

الكونُ يا مولاي يبكي من دموعي

أنت وحدك ما بكيت

والصورة الاستعارية (الكون.. يبكي) هنا دالّة، غير أنّ جزءاً كبيراً من دلالتها
الكلية تكتسبه من المقابلة السلبية (يبكي، ما بكيت)، إذ تفضح الآخر بتصويره مخالفاً
للكون، وبتجسيمه وحشاً غير متعاطف مع كل مآسي المظلومين من غير يهود!!
ويؤدي التعبير الحقيقي أحياناً دوراً تصويرياً، قد لا يسعف الخيال على تجسيده كما
نلمس في قول الشرقاوي يحكي عن اندهاش أهل قريته من حكاياته عن القاهرة (12):

فقلت لهم: "قد رأيت القصور!!"

فقالوا: "القصور؟! وما هذه؟.. فإننا لنجهلها يا ولد

فقلت "اسمعوا يا عيال.. اسمعوا.. القصر دائرةٌ بحجم (البلد)!"

فحكّوا القفاً وهم يعجبون/ ومدّوا رقابهم سائلين/ وهم خائفون

"وهل يسكن القصر جنٌ يطوف طواف العفاريث حول القبور

وهل كنتَ تمشي بجانب القصور؟

والأبيات الثلاثة ابتداءً من الرابع تمثل وحدة إيقاعية وتصويرية متسقة، أما وحدتها الإيقاعية فالاتحاد بنهاياتها فكان رؤيتها النون، وردفها بين الياء والواو. وقصر تفعيلات البيت الثالث عن سابقه (تفعيلتان مقابل أربع لكليهما) ينسجم مع بنيتها الدلالية، أما الوحدة التصويرية بالأبيات فتجسيد لموقف الريفين من وصف الشاعر القاهرة لهم، فقد بدوا مبهورين مشدوهين وربما فزعين مأخوذين، وقد أتاح التعبير بالحقيقة هنا للشاعر سعة في السرد ما كان يتيحها له قالبٌ تخيليٌّ بديلٌ.

2 - الصورة الممتدة: (اللوحة المكتملة)

يتجلى تصور المبدع لقضيته وإحاطته بجوانبها، ومدى نضج هذا التصور، وكذا موقفه الشخصي المستقر من الآخر في قدراته التصويرية، فالتصور الفكري منطلق رئيس من منطلقات الجانب التصويري، والحق أنى أرى ممارسات الآخر لغرابتها ومأساويتها وتجنيها كفيفة بإثارة مكان الإبداع بنفوس الشعراء.

ومن تلك الصور الممتدة قول جريدة على لسان طفلة البوسنة تخاطب بوش⁽¹⁴⁾:

يا سيدى بوش العظيم (...)

أنا طفلة/ من أمة تُدعى بلاد المسلمين

تمتد من بين الليالى السود/ والعصر اللقيط

ووصمة الخزى المهيمن/ فشمالها/ نهر من الأحزان

يَنبُع من دموع المتعين/ وجنوبها/ يمتد من عصر الهزائم

نحو أيام التنطع/ بين أحضان الشكارى الغافلين

فى الغرب/ فاضت روح ماضيها

فألقت فى ليالى الصمت/ مجد الرّاحلين

فى الشرق تحلمها سياط البطش/ تنعق فى صحاريها المشائق والأنين

كانت تسيحُ ذات يومٍ/ باسم ربِّ العالمينُ
والآن صارت تعبد الدولارَ جهراً/ يا أمير المؤمنين.
الصورة بالمقطع تلخّصُ لمأساة الأمة، فتحكي عن بشاعته تلك المأساة
وشموليتها؛ إذ هي قائمةٌ بمطلق الزمان، فهي: (تمتد ما بين الليالي السود
والعصر اللقيط..

يمتد من عصر الهزائم نحو أيام التنطع
ومطلق المكان ما بين شمالها وجنوبها.. في الغرب أو في الشرق.
أما المأساة فتصورها تقنياتٌ فنيةٌ عدّة تبدأ بالفعل (تُدعى) بما يجسد من هوان
الأمة، وربما بعدها عن أهم مشخصاتها العَقْدِيَّة.. وربما أفاد الفعل جهل الآخر
بحقيقة الأمة، إذ لا يدرك من مقوماتها سوى الرسم أو الاسم.
والوصف يؤدي مهمة تصويرية واضحة باللوحة تجسد المأساة والضياغ كما في:
الليالي السود.

والعصر اللقيط

ووصمة الخزيّ المهيّن

والوصفان (1، 3) كأنما هما تكرير للفظ دون المعنى فما عهدنا ليالي بيضاء،
ولا خزيًا مشرقًا معزًا، لكن الوصفين جسّدًا باللوحة واقعًا سوداويًا مخزيًا مهينًا.
والوصف الثاني (اللقيط) مع كونه للعصر، إلا أنه يخص الأمة على الحقيقة
فمخصوص الأمة يحيون عصرًا زاهيًا متحضّرًا.. وعلى ذلك فالوصف يجسد ضياغ
الأمة، وكأنها بلا قيادة تلتقط الراية وتلم شعث الأمة. أما (تمتد، يمتد) فيصوران
عمق المأساة وبعد غور جراحها.

ومن ذلك قول جريدة يحكي عن الدمار الذي خلفه بوش ببغداد:

ارحل وعارك في يدك / انظر إلى صميت المساجد
والمنابر تشتكي / ويصيح في أرجائها شبح الدماز
انظر إلى بغداد تنمي أهلها / ويطوف فيها الموت من دار لدار
ومن تلك اللوحات المتكاملة قول الدكتور تيمور^(١٥):

أمركا

قلب مراهق / ينوء تحت ثقل عقل .. أى عقل
وشفة مشغوفة / تؤذ أن تمتص كل ما بشعر الكون من قبل
فالفعل تمتص يشيد إلى الرغبة الجامحة في الإتيان على كل "وليس أكثر" ما
بشعر الكون، واللوحة تصور أمركا ذات:

قلب مراهق

وعقل طائش

و "فم" (شفة) نهم أنانى جشع

وفى رمزية القلب والعقل والشفة المشقوقة الماصة استكمال لبشاعة الواقع
الأمريكي، فما الحي إلا قلب وعقل وجارحة. ومن ذلك قول "الجيار"^(١٦):

وُجِئَتْ هنالك يا نيرون بأمرىكا.. / تتكبر في سبعة أوجه..

شَمَّاسًا يسرقُ خبزَ المعبد.. / أو شحاذًا من صهيون..

يقتل من يُعطيه اللقمة / يسرق دمعَ الطفل، ويصنع شمسَ الأعياد

يُتَبَّع إلى الأمِّ التَّكلى.. ليل الميلاد

أنت كشجر السَّم النَّامى دون جذور.. / من ينزعه.. سوف يموت على كَفِّهِ

ومن تلك اللوحات ما اختصَّ به الشرفاوي طفله متكئاً بالأساس على تقنية التشبيه لتجسيد فطرة الطفلة وجمالها.. في إشارة لا تخفي لامتلاك الغد والأمل في المستقبل، يقول^(١٢):

ولى طفلةً كاتتلاقي الصباح / كحلم الربيع، كهمس القُبْل
كنوارة في اخضرار الحقول يُنغِنُ في شفتيها الأمل
كمصفورة في المروج الفساح / كفجر الكفاح
يلوح على ظلمات الشقاء ويحمل كل أزهار الغد
ومن اليِّن أن تردّد الاستعارات داخل قالب التشبيه، جاءت دائماً متعلقة
بالمشبه به كما في (حلم الربيع، همس القبل، فجر الكفاح).

الإيقاع

من قديم ارتبط حَدُّ الشعر الفارق له عما سواه من أجناس الأدب بالموسيقى، فالوزن ومعه القافية هما ضابطا الشعر المائزان، وقد حَدَّ قدامه بن جعفر في أول كتاب نقدي عربي الشعر بقوله: (إنه قولٌ موزونٌ مُقَفَّى يدلُّ على معنى) ^(١)

وقد ذهب "يوري لوتمان" إلى أن "الإيقاع في القصيدة هو العنصر الذي يميز الشعر عما سواه" ^(٢)، وعنده "أن الإيقاع أساس البنية الشعرية" ^(٣) وقد كان من القدامى مَنْ يرى الوزن أخفى خصائص الشعر؛ إذ يرى ابن رشيق أن "الوزن أعظم أركان حد الشعر، وأولاها به خصوصية، وهو يشتمل على القافية وجالب لها ضرورة" ^(٤)

وفي العصر الحديث أعلت التيارات والحركات الأدبية من شأن الموسيقى في القصيدة، ومن ذلك التيار الرومانسي، وقد استمر الشاعر المصري الحديث عددًا من المسارات الإيقاعية لصالح رسالته، فأضفى عليها جمالًا ووضوحًا ودقة، أسهمت في جلاء المضمون وجماليته، وتمثلت أبرز تلك المسارب في الوزن والقافية، ثم الجنس.

الوزن

استخدم الشاعر المصري الحديث ستة أوزان شعرية في مخاطبته للرمز الأمريكي هي على الترتيب:

الرجز الكامل، المتقارب، المتدارك، الوافر، وأخيرًا البسيط.

ومن خلال إحصاء شعر المدونة بدا:

أولًا: أن بحر الكامل هو الوحيد الذي اتفق على استخدامه غير واحد من شعراء القصائد في المدونة، واستُخدم تأمًا ومجزوءًا، كما أنه الوحيد الذي نظم عليه شاعر واحد (جريدة) قصيدتين مختلفتين، وهو البحر الذي جرى النظم عليه

عموديًا وحرًا، وطواعيته للحر أعلى في إجمالي أبيات الكامل بالقصائد، وعلى ذلك فالكامل هو أكثر أوزان المدونة بالقصائد حضورًا وتميزًا.

ثانيًا: يغلب على شعر المدونة أن يكون حرًا مطلقًا من قيد القافية الرأسية التقليدي، ويكاد يكون العمودي خاصًا بالشعراء ذوي النزعة الإسلامية موضوعيًا، والنزعة المحافظة فنيًا، كما هو الحال عند الغاياتي والدهشان وقميحة، أما الحر فيستوي فيه ذوو النزعة الإسلامية المتوازنة أمثال جريدة وتيمور وذوو التوجُّه اليساري المتحرر كما عند الشرقاوي، والفارق في نسبة التردد بين الشعر الحر والعمودي بمدونة القصائد كبير لصالح الحر، الأمر الذي تقرر معه انحياز الشاعر إلى الإطار الحدائثي بما يتحبه له من حرية تساعد على البوح والسرد لمخزون النفس الأليم حيال سلوك الآخر. وربما لأن قصيدة جريدة جاءت في إطار ضابط كونها على لسان طفلة من البوسنة تجاوز أبياتها المائة الثانية إلى الرابعة كما في نصه الآخر، وكما عند الشرقاوي. ويرى الباحث أن حماسة قميحة وموقفه الراض للآخر والمنحاز حقًا وأيديولوجيًا للأمة هو ما ذهب به بعيدًا لتطول قصيدته من قيد الروي المقيد، وربما ساعدته طوعية البحر المتدارك على هذه الانسياقية والتدفق.

ثالثًا: بدا أن (الرجز) يفوق كمياً جميع أوزان القصائد الأخرى فنسبته إليها 69,09 وقد بدت علاقة ما بين الرجز كونه بحرًا صيغت عليه أغلب منظومات العرب التعليمية وبين أكاديمية الدكتور الشاعر محمود تيمور، وبين غاية ديوانه كما يتبدى من عنوانه (في وصف أمريكا) من ناحية ثانية.

أقصد إلى إثبات توفيق المبدع تيمور هنا في اختيار الرجز المطواع لتحمل خصوصية الرسالة الإبداعية وتيسير البوح.. وضبطه دون إطلاق لعنان الوجدان على حساب الحيدة والإنصاف القومي العلمية المرهونة تراثيًا بالرجز.. هذه الحيدة نلمحها بقوله بمختتم الديوان⁽⁵⁾:

حاولتُ

أن أرى بحيدة/ وأن أصوغَ قدرَ رؤيتي
مُوتراً قَويسي/ مثقفاً رؤوس أسهمي
مُستقبلاً بعين قلبي الهدف/ قررتُ
أن أحكّم الضميرَ في قصيدتي/ أثرتُ/ أن أقولَ كلمتي
وأنصرف..

وقريب من ذلك قوله قبل ذلك القول مباشرة^(٤):

عازقاً عن الهوى/ مُحاذراً أن أنحرف
مداوماً/ على قراءة المؤشرات في أسطرٍ لآبي القديم
ضابطاً عليه/ دفتي والبُوصَلات
لا أميلُ/ ضد أو مع ولا أظلُّ عند المتصف
رابعاً: المتقارب:

لم يرد المتقارب في المدونة إلا في مطولة عِدَّة أبياتها (389) ثلاثمائة وتسعة
وثمانون بيتاً لعبد الرحمن الشراقوي، بنسبة تتجاوز ثلث الأبيات 35.53 ٪، وهذا
يعني أنه بحر متلاحق النغم، يناسب التجربة الشعرية المتدفقة، فالمتقارب «بحر
بسيط النغم، مطرّد التفاعيل، مناسب، طَبْلَى الموسيقى، يصلح لكل ما فيه تعداد
الصفات، وتلذُّدٌ بجرس الألفاظ، وسرد الأحداث في نسق مستمر»^(٥)
وقد أحسن الشراقوي في توظيف المتقارب، والتعالي على مزالق النظم عليه
بما امتاز به من سلامة الطبع وامتداد النفس.

خامساً: يتردد الوافر بالمدونة في نص وحيد للغاياتي أبياته ثلاثة وثلاثون
بنسبة: 3.01 ٪ وأحسن ما يصلح هذا البحر كما يرى الدكتور الطيب المجذوب
«في الاستعطاف والبكائيات، وإظهار الغضب في معرض الهجاء والفخر» ويغلب

على قصائد الوافر الأسلوب الخطابي، والخطابة في الوافر جليٌ فيها عنصرُ التكرار والمزاوجة والمطابقة، وحملها الصدر على العجز، وإضرابها الشيء إلى سواء، وعرض جوانب مختلفة من المعنى الواحد يتبع بعضها بعضاً^(٨)

وقصيدة الغاياتي تتصل بالغضب في معرض الهجاء والفخر على نحو ما نلقى في قوله^(٩):

لعمركَ لستَ بالرجلِ الهُمام	إذا عُدَّ الهمام من الكِرامِ
كرامِ الناسِ أصدقُهم حديثاً	وأبعدُ عن أكاذيب اللئامِ
فما لكَ لم تُقَمِّم في النِّيلِ إلّا	لِشُمُوعِنَا أباطيلَ الكلامِ
أراكَ ترى البلادَ بغيرِ عينِ	رأيتَ بها بلادك منذُ عامِ
كأنّا دون قومك في المعالي	ودونك في اليراعة والحُسامِ
رويداً يا فتى التاريخ إنّا	لنا خطرٌ على الأيامِ نامِ
جمعنا الدين والدنيا وكُنّا	أساتذةَ الورى من عهدِ سَامِ
فمن أنتم إذا انتخرت شعوبٌ	بمجدٍ في ذُرّا الأهرامِ سَامِ

ومن غضب الغاياتي على روزفلت، وتيهو بوطنه مصر قوله^(١٠):

أراكَ وقد جهلتَ فليت شعري	أبأفَى الحربِ أنت أم السلام؟
تهبُّ فترسل البهتانَ فينا	وترمينا بطائشة السهامِ
فَهَلْ أهداك طبعُ الوحشِ حتّى	عَبَسَتْ وأنت في دارِ ابتسامِ

سادسا: البسيط: لم يرد البسيط بالمدونة إلا في ثلاث قصائد؛ اثنتان لعبد اللطيف النشار عدة أبياتهما (15 بيتاً) وواحدة للغاياتي (أبياتها تسعة) في قصيدته (إلى خطيب جلدهرل)^(١١) وفيها يقول:

ماذا تحاولُ يا رُوزُفُلْتُ من خَطْبِ
 إن الكنانة قد أَصْمِتَكَ أسهُمُها
 عَرَضْتَ نَفْسَكَ للغارات مُدْرِعًا
 وقمت في جُلْدُهُول مُعْجَبًا ثِمَلًا
 هم يهزءون بما تهذى وحسبهمو
 وقال ما قال عن حُمو وعن حَنق
 ترمى بها مصرَ عن حَقْدٍ وعن غضب
 فكيف تدفع سَهْمًا رِيشَ بالمعْطَبِ
 فى موقف الحق بالبهتان والكذب
 فكنتَ في كُلِّ معنى موضع العجب
 أنَّ الرئيس نحامى خُطَّةَ الأدب
 ورام مصر عروسَ الشرق بالحرب

يا أيها الواغلُ العادى على بلد
 أقبل إلينا فإن الشعب مضطَّرم
 هذى يَدُّ لو رآكَ اليوم صاحبُها
 لو أنصفتك رماك النيلُ بالحرب
 وَجَدًا عليك فلا تُدبر ولا تهب
 لصافحت نارُها مستودع الخطب
 سابعًا: المتدارك: أبدع الدكتور قميحة قصيدته على المتدارك، وحققا فهو بحر
 «كله جَلْبَةٌ وضجيجٌ»⁽¹²⁾، يخاطب بوش وقومه فيقول⁽¹³⁾:

تلعنكم صبرا وشاتيلا
 ولعنتم في كلِّ كتاب
 ويتامى وأراملُّ هاموا
 ومذابحُ بيروت وقانا
 إنجيلا كان وقرأنا
 ما اقتاتوا إلا الأحزاننا

القافية

تأسيسًا على غلبة الشعر الحر على العمودي بالمدونة فقد تنوعت القوافي في النص الواحد.. بل لقد جاء نص «قميحة» العمودي هو الآخر مُتنوع القوافي؛ إذ جاء رويّة ميمًا في (18) مرة، وشينًا في (11) مرة، وهاء في (7) مرات، وهمزة في (عشر)، ولأما خمسًا، وعينًا ستًا، أما «النون» فقد جاء رويًا في قافية ذات وصل بالآلف في عشر مرات، وذات وصل بالياء وردف بالآلف في عشر مثلها، ومن الأخير قوله:

يا بوش وأقسم ما أقمت	إلا بنزوع شيطاني
ولضرب الإسلام كدين	وجهاد حي ومماني
وحضارة علم ويقين	نهضت بالفكر النوراني
واليوم بداية حُطنتكم	إنشاء الشعب الأفغاني

وربما كان جيشان وجدان قميحة، وانفعاله الذاتي تجاه أفعال الآخر المتعددة والمستمرة مسؤولين عن تنوع القافية، لطول النص، وترامي جوانب التجربة الإبداعية. وإذا كانت «القافية في القصيدة الحرة باختصار ليس لها نظام ثابت ملتزم، وإنما يتصرف فيها الشاعر وفق طبيعة رؤيته الشعرية الخاصة»⁽¹⁴⁾ فقد بدا حرص شعراء المدونة حتى في شعرهم الحر على موسيقى القافية وعلى تنغيم نهايات الأبيات/ الأسطر بحيث بدت في بعض الأحيان أقرب إلى قوافي الشعر العمودي، وما ذلك فيما أرى إلا حرصًا على إقناع المتلقي (العام والخاص) بمحمول النص الدلالي من ناحية، وإلا رغبة في إمتاع المتلقي العربي خاصة.. ومن نماذج ذلك ما أبدعه «جريدة» في مفتتح غضبته الكاملية «ارحل وعارك في يدك» وفيه يقول:

كل الذي أخفيته يبدو عليك
 فاخلع ثيابك وارثجُل
 اعتدت أن تمشي أمام الناس دوماً عارياً
 فارحل وعارك في يديك
 لا تنتظر طفلاً يتيمًا باهتسامته البرينة
 أن يُقبل وجتيتك
 لا تنتظر عصفورة بيضاء تغفو / في ثيابك / رُبما سكنت إليك
 لا تنتظر أمًا تُطاردها دموعُ الراحلين / لعلها تبكي عليك
 لا تنتظر صفحا جميلاً
 فالدماء السود ما زالت تلوّث راحتيك
 وعلى يديك دماء شعب آمين
 مهما توارت لن يُفارق مقلتيك.

والقافية هنا أشبه بلزوم ما لا يلزم؛ إذ تلتزم الياء قبل روي الكاف المقيّد الذي لا يُقصد به إلا «بوش» الحاضر دائماً بالنهاية مخفوضاً.. مجروراً في كل آن.

وبالنص تمتد هذه القافية إلى مدى أبعد، فتستغرق كامل مقطع، أبياته خمسة وثلاثون؛ إذ تنتهي إلى قوله:

ماذا تبقى من حشود الموت
 في بغداد قل لي / لم يعد شيء لديك / هذي نهايتك الحزينة
 بين أطلال الخرائب / والدمار يلف غرة

والليالي السود... شاهدة عليك

فارحل وعارك في يديك

الآن ترحل غير مأسوف عليك.

و«جريدة» في نصه الممتد البديع يقرن تحولاته من مقطع إلى آخر بتحويلات القافية؛ إذ يخص كل مقطع رويًّا بذاته؛ إذ يلي الكاف المسبوقة بياء في المقطع الأول، اللام في الثاني، والعين في الثالث، والهمزة في الرابع، والراء في الخامس، والميم في السادس، أطول المقاطع، ثم الحاء في المقطع السابع، وأخيرًا النون في المقطع الثامن، وفيه يقول:

ارحل وعارك في يديك

في قصرِكَ الريفِي/ سوف يزورُكَ القتلى بلا استئذان

وترى الجنود الراحلين

شريطَ أحزانٍ على الجدران

يتدفقون من النوافذ... من حقول الموت

أفواجًا على الميدان

يتسللون من الحدائق... والفنادق

من جحور الأرض كالطوفان/ وترى بقاياهم بكل مكان

ستدور وحدك في جنونٍ/ تسأل الناس الأمان

أين المفر؟ وكل ما في الأرض حولك يُعلن العصيان.

ومن الجلي أن تحرر الشاعر الحديث من رتابة تكرير الروي لم يكن مطلقًا بل استثمر الشاعر في ذكاء حرية أتاحت له، سمحت بعدم التقيد التام بالروي،

لكن حرصه على تنعيم نهايات نصه لإمتاع القارئ وإقناعه، وفي الأبنية الشعرية الجديدة نلتقي بالقافية أحياناً، حقاً إنها لا تتلاحق في رتبة وجمود، بل تلمع هنا وهناك في ارتباطات متراوحة طيبة»⁽¹⁵⁾

وقد أجاد أكثر شعراء المدونة، خاصة الثلاثي الشرقاوي وعواد يوسف وجريدة تقفية قصائدهم الحرة، وبالمثل أجاد الجيار وتيمور إنتاج قوافيهم في ديوانيهما. ويغلب على روي «الشرقاوي» أن يكون متنوعاً بتابع، ويغلب أن يكون تردد الروي مثنى مثنى.. وبما كان ذلك لكونه رائداً من رواد الشعر الجديد (الحر) فقد مثلت قصيدته حالةً فارقة في هذا الشأن.. ومن دلائل ذلك قوله، مناوياً للقافية بعد كل سطرين «بيتين».. إذ لم يكن الفطام قد لحق بقصيدته عن أمها العمودية على نحو مطلق القطيعة والبيئونة بعد:

سألتك يا سيدي... يا إله/ ويا من يميناه سر الحياة

أقرأ هذا الخطاب القصير إذا ما تناولت عند الصباح

شراب الدم الساخن المستباح

بكاسي تُدسُّهُ «كوريا» بذوبٍ لحومٍ ضحايا الكفاح

ويمضي النسيم على وجتيك «برومبا» الأنين «وجاز» النواخ

وهمس الجراح؟!

.. ولكن لعل خطابي يريث لكليلاً يروع الصباح الجميل

وأعلم أنك تهوى الصباح نديّ الجراح رخيخ العويل

ولست أقدم «طبي الخطاب» دماء ابتي

ولا زوجتي!

وذلك عن قِلَّةٍ في الحياة

وَبُخْلِ يُغالبني بالدماء

وَدَوِقٍ من الريف جافٍ غليظٍ كما يغْلُظُ العيشُ في قريتي

وما حيلتي؟!

فإن لَمْ أقمُ بحقوق الوفاء لحامي حضارتنا الراحنة

فهب لي خطيتي الشائنة.

وقد استخدم الشرقاوي نمط القافية المتراوحة أو المتداخلة إن صُحَّ التعبير، وفيها يجمع بين نمط القافية التقليدي المعتمد على تكرر الروي متتابعًا، وبين طبيعة القالب الحر للشعر الذي يعني من هذا التابع.. فجاءت بعض مقاطع نصه جامعة بين تتابع الروي الواحد متلاحمًا ومتباعداً، وتكرير روي آخر بالمسافة البينية بين مراحل تتابع الروي الواحد.. ويمكن التمثيل لذلك بالتبرسيم التالي:

ر ر أ ع أ ر ع ر ه ر ه ه ع ع ومن ذلك قوله:

وَأني لأعجبُ لِمَ صَوَّروك حديدَ الفؤاد بليدَ الشعور

وأعلم أنك تهوى الزهور

فتنشد ألوانها في الدماء

وتمشي من الأرض في حيث شئتَ لتقطفَ كلَّ زهور الربيع

فتسحق أوراقها اليانعات وتشرها فوق أرض الشقاء

وتجري الدماء، وتبقى الزهور!

وأعلم أنك تهوى النجوم وتعجب كيف تُحلَّى السماء

وتطلب في الأرض سحر النجوم فتصنعُ لآلاءها بالدموغ

وأعلم أنك تهوى العطور

فتنشر في الأرض عطر العفونه!

وأعلم أنك تهوى الحرير

فتطعم في الوحل دُودَ الخيانة

بخضرة أيامنا الزاهرات، وتسقيه رونق ماء الحياة

لينث بعض خيوط الحرير تلفُ بهن رقابَ العُصاه!

وأعلم أنك راعٍ عطوفٍ يرى البؤس يلفح وجه القطيع

فينفض كالناحر العبقري.. كأياس.. فوق رؤوس الجميع.

ويعد «جريدة» بهذا النمط التقوي إلى أبعد من ذلك في «رسالة إلى بوش من طفلة مسلمة بالبوسنة» إذ ترد قوافيه متناوبة ومركبة في آن واحد، فلا يتكرّر الروي مفردًا، بل معه حرف آخر يلتزمها الشاعر دائمًا، مما يُعلي من موسيقية النهايات، وتطريب المتلقي، الذي ربما أدهشه ذلك، وأسهم في يقظته.. فافتتح بالدلالة.. يقول «جريدة» في أحد مقاطع نصه:

يا سيدي بوش العظيم

بالله كيف يُعانقُ الصبحُ الجميلُ

خيوطَ ليلٍ مظلمة

تبنون في أوطانكم مجدًا وفي أوطاننا

تعلو السجونُ المحكمه

والحقُّ في أوطانكم حقُّ الشعوبِ وعندنا

حقُّ الكلابِ المُشَحَّمة

والقتلُ في زمن النخاسة أو سمة
لَمْ تقتلون الصبحَ في أعماقنا
وتُسيِّرون على المشائق مأتمة
العدلُ في أوطانكم يعلو وفي أوطاننا
قهرُ الأيادي الآئمة
تَبكون إن سقطتْ على باريسَ
أو روما ظلالَ قاتمة
والآن تجري في ربوع بلادنا
أنهارُ دَمٍ مُسلمة.

وقد التزم «جريدة» الميم مع الهاء، والنون مع الألف دائماً، وقد بدت قوافي
النص متناغمة رأسياً على هذا النحو:

أوطاننا	مظلمة
وعندنا	المحكّمة
	المتخمة
أعماقنا	أوسمة
أوطاننا	مأتمة
	الآئمة
بلادنا	قاتمة
	مسلمة

ومن البين اقتدارٌ جويده على إبداع قوافٍ مركبة، يلتزم فيها ما فوق الروي.. في ملمح يؤكد أن التجاء الشاعر الحديث للشعر الحر ليس ضعفًا في موهبة أو هربًا من قيد مُعَوَّق.. إذ هو هنا يلتزمه دون داعٍ للالتزام.. بل دون داعٍ لمجرد تكرار.. وهنا ربما كان انسحاب رأي الدكتورة «صبيرة قاسي» حين ربطت بين القوافي المقيدة وميل الشاعر المعاصر «إلى التحرر من القيود التي تحدُّ من قدرته على الإبداع»^(١٤) غير مواتٍ، فجويده في نهاية نصه يلتزم قافية مقيدة، رويها التاء الساكنة، تردفها.. ياء مدٍّ ساكنة أيضًا.. وهي قافية عصية، ونمطٌ صعب.. لا يتأبى على الموهوبين.. العباقرة.. يقول «جويده»:

حاريتَ يا مولايَ يومًا في الكويث

وجنيتَ منها ما جنيتَ

هل شعبٌ بوسنة لا يساوي

في ضميرك بئرَ زَيْتٍ

يا سيدي بوش العظيم

إن شئتَ يومًا أو آبيتَ

سيظلُّ نورُ الله في وطني

يُعانقُ كلَّ بيتٍ

سيظلُّ نور الله في وطني

يعانق كل بيت

وقد بدت بعضُ قوافي المدونة متتابعةً تجري فيها عدة الأبيات على رويٍّ واحد، ثم تتحول إلى رويٍّ آخر في أبيات أخرى متتابعة.. ثم إلى ثالث في ثالثة

وهكذا.. والروى إذآ أشبه بزخآت متسارعة منفصلة.. لكنها واضحة، تعلق بالوجدان.. ويمكن ترسيم نمط هذه القافية بالخطاطة:

ن ن ب ب ب ع ع ح ح ٢٢٢

يقول «عبد المنعم عوآد يوسف» في «رسالة من شاب عربي إلى الرئيس أيزنهاور»:

إليك يا رئيس/ إليك باسم والدي الرحيم

وباسم أمي الرؤوم/ وباسم إخوتي الصغار

باسم زهرة أحبها القوآذ

سمراء يا رئيس/ والسفر عندكم مضيّعون لأنهم ملونون!

إليك يا رئيس ذلك الخطاب/ من قلبي المليء بالعذاب

لأنه يحس بالخراب/ يهدّد الحياة

من حلقي المملوء بالدموع/ لأنه يحس بالرياح.. تهدّد الشموع

أضمن الخطاب كلمتين/ من قلبي الجريح/ من صدري الذبيح

من موطن الفداء بور سعيد

من منبت الكفاح والسلام/ والدم والحياة، والغرام/ أسطر الكلام.

وأكاد أقول إن قوافي الشعر الحر بالمدونة أروع بكثير من قوافي العمودي الذي تلعب فيه القافية دورًا كبيرًا «في تحديد بنية البيت من حيث التركيب والإيقاع معًا»^(١) وربما لهذا الدور.. فسد الإيقاع أحيانًا!

ولخصوصية الإطار الإبداعي في «محاكمة أمريكا» إذ فيه بعض مشاهد مسرحية، تعتمد على تعدد الأصوات، والحوار، والدراما.. فقد جمع «الجبار»

استجابة لهذه الخصوصية بين أنماط تقفوية عدة، مراعيًا في ذلك متطلبات السرد المسرحي شعراء، ففي «محكمة الأشباح» جرى هذا الحوار بين الطيار الأمريكي وامرأة قتل الطيار طفلها:

«يقبل شيخٌ لامرأة أخرى تمسك بطفل مقطوع الذراعين»

المرأة: أوتّرُفني يا ابنَ اللعنة؟

الطيار: لا أذكر وجهك أبدا

المرأة: عشتُ حياتي.. دون وليد

كنتُ أعاني وحشة أنثى تشكو العقم..

ذات صباح.. جاء وليدي يحملُ وجهي

يحمل وطني في عَيْنَيْهِ..

كان ينام على صدري..

وأنا الطفلةُ في كَفَّيْهِ

حان العيدُ الخامسُ من ميلاد الطفل

كان يلعبُ كلَّ فَرَّاشِ الحقل

لمحَ الطائرةَ السوداء.. فلَوَّحَ يرقصُ مُتَشَيِّا

الطفل: أمي.. أمي.. اني أرقصُ بين غصون الروطس

نحن بيوم العيد

الأم: اهرب.. هُم يُهدونك يوم العيد هدية موت،

وانكمش الطفل.. بأحضانِي يخبئُ عمره

ورميت على وجه ربيعي نازَ الذرّة..

الأشباح: لم تُبقِ بُعْثُ عُصفورا..

لَمْ تبق على ووضي زهرة..

وتطايرونا في عاصفة الموت.. شظايا^(١٨).

ومن قوافيه المتابعة ما كان من حوار بين الجنرال وكلاي الملاك المبطّل..

يصور رفض «كلاي» محاربة السود.. يقول «الجنرال» في ختام «محاكمة كلاي»:

الجنرال: اسمع هذا الحكم عليك..

سوف تعيش سنيناً خمساً في ظلمات السجن

كلاي: اختارُ السجن لأنعم بالحريّة

سألاكم شرّ الصهيونية..

وسأجعلُ صمتي يحتجُ على السجّان

يتحول صرخات للناس بكل مكان^(١٩)

يمتطي «أحمد تيمور» أيضًا تلك القافية المتابعة كثيرًا بما يناسب نمط بناء

ديوانه؛ إذ جاء في أربعة وستين مقطعًا، يبدأ في كل مرة بالـ «أمركا» ويعرض في

كل مرة لجانب من أوصاف أمريكا.. السالبة كثيرًا.. والإيجابية أحيانًا.. الأمر الذي

اقتضى لكل مقطع نمطًا إبداعيًا ماثراً.. أسهمت القافية في بناءه.. يقول في مقطعه

الثاني عشر ملترماً قافية مقيدة، رويها اللام الساكن، تسبقه الياء هكذا:

أمركا/ سحابةٌ من كَيَزِرٍ/ يحملها مُلثَمونَ

يمتطون غابةً من خيلٍ

ظهِيرةٌ ساطعة/ ترمي ظلالها على منعطفات سنة من ليلٍ

عاصفةٌ رعدية/ تحاصر الآفاق بالبروق/ ثم تنكفي / دلاؤها على الرّبي كالسيل
قد تَعِدُّ البذورُ بالنماء/ بينما/ ترى بعض براعم الأراضي الوطائت
أنها موعودة بالويل⁽²⁰⁾

وعلى تباعد مواضع تناعم النهايات بالمقطع.. فذلك مما يُحمد للشاعر؛ إذ هو
دليلٌ أوليٌّ على عدم التكلف، كما أن هذا التباعد ساعد على تدفق السرد، أو ساعد
السرد على ذلك.. الأمر الذي يدت معه مواضع القوافي الأربعة مفاصل فاعلة في
تماسك النص وتميزه.

وقد يجمع إلى القوافي المتابعة قوافي متداخلة، تتخلل تلك المتابعة، فتعمل
المتابعة المستمرة على تشكيل النغمة الموسيقية المهيمنة.. وتمثل إذاك القوافي
المتداخلة الطارئة ما يشبه الفلاش المبهر.. يُضيء ليوَقظ.. ثم يتلاشى، مُتَحَيًّا عن
حضوره لفلاش مبهز آخر.. ذلك ما نجده في مقطعه الخامس والعشرين، وفيه:

أمركا/ ماكينة/ مسجِّلُ تاريخُ صنعها

على لافتةٍ بصاجها الخلفي/ ماكينة

نصنع التقدّم المطرّزَ الياقات بالرقّي

ترجم الرؤى بضائعا

وتجمع الخيال في الرؤوس ضائعا

روائعا/ من المحركات والمعلبات والحلي

وترسل الأحلام والأفلام/ للأمام

نحو زمن من الرفاه والثراء/ ولأعلى

صوب وطن مُرقّهِ ثري/ ماكينة

رايتها مع صديق من «نيوجرسي» يُسمَّى ألفريد
ماكينة أم/ لعالم يجيئنا بسرعة
تفوق سرعة اختراق حاجز مُموء من الأصوات
عالم مُمَكِّن جميعه/ وكله أكي⁽²¹⁾

والروي المتتابع هنا صعب المرتقى، لكنه انقاد لتيemor..
ومن الروي المتداخل هنا ما التزم فيه تيمور رباعية الأصوات
(انعا) لمرات ثلاث متتابعة. وقريب من ذلك قوله في المقطع الرابع عشر:
بعدتُ مُجفلا/ وعُدْتُ قافلا/ قوافلا قوافلا

من التماسك الهشيم الروح
والتوازن المختل/ وحين ثبتُ من مواجدي/ وثبتُ فوق كل صهوة/ وربوة
على الطريق للسنا/ صحبت في عروجه إلى السماء/ كلُّ تل⁽²²⁾

وقد تجلّت من مظاهر الموسيقى الخارجية (الإبداعية) بالمدونة ظاهرة التوازن
الإيقاعي، ومع أنها أقرب إلى طبيعة الشعر العمودي، وأساسها الانتظام والتماثل
وال تكرار، فقد تمظهرت بالشعر الحر كثيرًا، ويسهم في تشكيل الظاهرة في أكثر
الأحيان تكرار التركيب، ويتأسس جمال إيقاع التوازن بالمدونة على توافق الأثر
الصوتي والصرفي بوجدان المتلقي، وهو ما يكشف عن وضوح الفكرة لدى المبدع،
وقناعته بها، ومن بسيط نماذج هذه التقنية قول تيمور في مقطعه الخامس والعشرين:

أمركا/ ماكينة مَكِينة/ تكدّست أجزاؤها
تقدّست أسماؤها⁽²³⁾

والى مدى أبعد من ذلك لنماذج هذه التقنية يكرّر «عواد يوسف» تركيبًا كاملاً

بدواله التسعة.. ثم يكرر تركيباً آخر بدواله الثلاث.. يقول:

إليك يا رئيس ذلك الخطاب / من قلبي المليء بالعذاب

لأنه يحس بالخراب / يهددُ الحياة

من حلقي المملوء بالدموع / لأنه يحسُّ بالرياح.. / تهددُ الشموع

أضمنُ الخطاب كلمتين / من قلبي الجريح / من صدري الذبيح⁽²⁴⁾

وقد ترد تقنية «الجناس» قليلاً بالمدونة، وأكثر الشعراء احتفاءً بها نيمور.. واستخدامه لها يتميز بالعفوية الراقية، بحيث بدا المجانس مستدعياً لمجانسه طواعيةً كما في قوله بآخر مقاطع ديوانه يستثمر ما أسميته «جناس الاستدعاء»:

وقفتُ / فوق سطح مركبي

صنعتهُ على عَيْنِ عِنايتي

قصصتُ منه من ورقي

عَوّته في بحر جِبْرِ أُرقي

شاداً يراعي الشراعيَّ احتفاءً بالهواء

عازقاً عن الهوى⁽²⁵⁾

وربما استخدم شعراء المدونة أكثر من تقنية إيقاعية في مقطع واحد، فساعد ذلك على تناغم المقطع بأكمله.. وتدفع إيقاعه.. فقد استخدم تيمور في مقطعه السادس والعشرين تقنية الجناس ثم تكرار التركيب وبشائاه اعتمد على إيقاعية التقابل، حين التزم صيغة صرفية بعينها لكل ثنائية تقابلية.. ذلك في قوله:

يريد شهرياز

أن يحلَّ عُقدة الثقافة التي تقض مضجع الملوك

ينبري له مُؤدَّبٌ مؤدَّبٌ/ لكي يقول/ سيدي السلطان

للتفكير عنصران: سالب وموجبٌ

وعاملان: دافعٌ وجاذبٌ

وعالمان: مطلقٌ وموثقٌ

ومنطلقان: راشدٌ وفاسدٌ

وفي العموم سيدي التفكير: نافع وضارٌ⁽³⁶⁾

والإيقاع على النحو الوارد بالمدونة فاعلٌ.. يشير إلى قدرات المبدعين الفائقة،
وحرصهم على جمالية الأداء، والجمع بين الإمتاع والإقناع للمتلقي.

الخاتمة

الفنان الصادق هو ضمير أمته الحي، وليست أمة حية إلا حينما يكثر فنانونها الصادقون، والانحياز لقضايا الأمة لم يكن أمرًا سهلًا؛ إذ أثر كثيرون السلامة بالصمت.. على معاناة داخلية.. عبّر عن ذلك الشاعر «كمال عمار» حين قال:

إن نكثتم ينشق الصدر

أو نطق ينفتح القبر

وعلينا أن نختار «ديوان أنهار الملح»^(٢٢)

وقد تبدت عدة نتائج في نهاية رحلتي الماتعة مع تقنيات الخطاب في مدونة الشعر المصري الحديث في الرمز الأمريكي، والتي عرض البحث لها وفق منهج تكاملي، يُعنى بتحليل المضمون إلى جانب التحليل الفني.. منها:

1. تباين واقع الشعراء في العناية بالرمز الأمريكي من ناحية الكم والكيف معًا، أما من ناحية الكم ف«الجيار وتيمور ثم جويده» هم الأكثر عناية، ومن ناحية طريقة تناول والجرأة في المعالجة والوفاء بحق الأمة فيُضاف إليهم عواد يوسف وقميحة، وقد بدا واضحًا أن الشعراء المغمورين ذوو فضل واضح في شجاعة المواجهة بخلاف الرواد أمثال شوقي وحافظ.

2. تنوعت مشارب شعراء المدونة، ومناحيهم الإبداعية وانتظمهم جميعًا في موقفهم من الرمز الأمريكي تياران، هما تيار الهمس الرقيق، وتيار العتاب العنيف «المواجهة»، وقد تمثلت في أشعار أصحاب الأخير قواسم ثلاثة

مشتركة هي:

1. الإمساك باللحظة التاريخية، ومواجهة الآخر بجرائمه وفضائمه وحقيقة قهره للشعوب.

2. وضوح البعد الإنساني تسامحاً ورغبة في التعايش، وكذا الانشغال بالمستقبل متمثلاً في العناية بالطفولة.

3. حضور الدين.

3. تمثلت أبرز تقنيات الخطاب الشعري في مدونة الشعر الحديث في الرمز الأمريكي في:

(المقابلة والمفارقة والتكرار): "الوضوح والمواجهة"

النفي (المقاومة بالرفض)

الإنشاء (المخاصمة والسخرية)

التناص (الأصالة والفضح)

الصورة (التجسيد والفضح)

الإيقاع: "القناعة (الذات) والإقناع (الآخر)"

4. وقد كرر الشاعر بالمدونة الصوت، والكلمة، والعبارة والمقطع، كما كرر التركيب.

5. تميزت المقابلة بنمطيةا اللغوي والسياقي بجلاء في المدونة، اعتماداً على تناقض موقف الذات والآخر، وسعت إلى الوضوح والفضح، وضوح الدلالة للمتلقي "العام والخاص" وفضح الآخر، الذي تحقق

كذلك من طريق المفارقة.

6. اتسقت بنية النفي مع طبيعة شعر المدونة، إذ عمدت الذات إلى نفي الآخر من الوجهة الأسلوبية في مقابل نفي الآخر للذات في أرض الواقع، وقد أدي النفي دورًا تصويريًا، واحترازيًا بالمدونة.

7. تكاثفت الأساليب الإنشائية خاصة النداء والاستفهام بالمدونة، في وفاق حيوي بين التقنية وطابع المدونة، إذ يعكس شعر المدونة واقعًا لا تنظيرًا أزمة الشعر وحيرة العقل، أما النداء فيجسد الآخر.. ويهزأ به، وأما الاستفهام ففي أغلب نماذجه جاء أشبه بأسئلة الادعاء التي يلتزمها القضاء لإقامة الدليل على خيانة المتهم وإجرامه وكشف الحقيقة.

8. مثل التناص معنيًا ثراءً للشعراء في تحقيق رسالتهم الإبداعية، فاستدعوا من التاريخ القديم والحديث أحداثًا وشخصًا.. جميعها يفضح مسلك الآخر بأفعاله الدموية المنحازة، والدال الأجنبي كثير التردد بالمدونة، بما حقق توازنًا ما بين طرفي الذات "العربية" والآخر "الأجنبي".

9. أكثر مجيء الصورة بالمدونة متتابع متكاثف، متوحدة الإطار أو متنوعته، والصورة بنمطيتها، الجزئية والممتدة "اللوحة المكتملة" جسدت عنصرية الآخر ومهجته وعدوانيته وادعاءاته الكاذبة، حين يشدق برعاية الحرية والتسامح، وهو منها براء.. ومن قوالب الصورة الطريفة بالمدونة، التعبير بالحقيقة والفراغ الطباعي.

10. استخدم الشاعر المصري بالمدونة ستة أوزان شعرية في مخاطبته للرمز الأمريكي هي على الترتيب: الرجز، الكامل، المتقارب، المتدارك، الوافر، وأخيرًا البسيط.

11. تنوعت قوافي نصوص المدونة، حتى العمودي منها، وذلك لامتلاء الذات بموضوعها ولطول النص، ولترامي جوانب التجربة الإبداعية، وأكثر قوافي المدونة مطلقاً لا مُقيّد.

وقد سعت تقنيات الإيقاع بموسيقاه الداخلية والخارجية متمثلة في الجناس والتوازن في تحقيق الإمتاع والإقناع معاً.

هوامش المقدمة

- (1) مقارنة النص الأدبي بين الرؤية والفن، دكتور وليد قصاب 8، ضمن بحوث مجلة "الأدب الإسلامي"، المجلد (20)، العدد (78) يونيو 2013، تصدر عن "رابطة الأدب الإسلامي العالمية"، بمكة المكرمة.
 - (2) دراسات نقدية، مصطفى عبد اللطيف السحرتي 7.
 - (3) الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، الدكتور عز الدين إسماعيل 238، المكتبة الأكاديمية بالقاهرة، الطبعة الخامسة 1994.
 - (4) عن بناء القصيدة الحديثة، دكتور على عشري زايد 104، دار ابن سينا للنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الرابعة 2002.
 - (5) المعجم المفصل في الأدب، دكتور محمد التونجي 2 / 488، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1993.
 - (6) من الآن سيكون استخدام دال "المدونة" تعبيراً عن الشعر المصري الحديث في الرمز الأمريكي بمفهومه المتقدم بالمتن. وينبغي التنبّه هنا إلى أن تناول الشعري للرمز الأمريكي لم يكن مقصوراً على المصريين، فقد شاركهم في ذلك شعراء العرب، خاصة بدول الجوار والمواجهة مع إسرائيل، ومن هؤلاء العراقي معروف الرصافي "يراجع قصيدته: "ويلسون بين القول والفعل" بدويان الرصافي 421 أتم شرحه وصححه مصطفى السقا، الطبعة الخامسة، ديسمبر 2004، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، سلسلة آفاق عربية" 84، 85. ومن هؤلاء أيضاً الفلسطيني أحمد محمد الصديق، إذ يقول:
- ليس "واشنطن" أو "مسكو" لنا
 قبله، قبلنا البيت الحرام
 مهبط الوحي ونبراس التقى
 ما لنا "ركن" سواها أو "مقام"
 وكتاب الله دستور الهدى
 ورسول الله في الدرب الإمام
 ومن هؤلاء كذلك السعودي الأكاديمي "عبد الرحمن المشماوي"، إذ يقول في قصيدته: "شمس"

في زمن الإنكار:

مَنْ صاحِبُ الصوت الغريب وما الذي أغواه بي حتى أتى يتهجّم
هو صوت شذائِ اليهود، وراه قواثُ أمريكا تُغيّرُ ونهجم

(7) الرسالة الشعرية: "قصيدة ينظمها الشاعر على شكل خطاب في أى موضوع" يراجع في ذلك:

(معجم مصطلحات الأدب في اللغة والأدب، كامل وهبة، مجدى المهندس 177، مكتبة لبنان بيروت، الطبعة الثانية 1984).

وخطابُ الشعراء للحكام في رسائل شعرية قديمٍ، على نحو رسالة الشاعر يزيد الصمق إلى الخليفة عمر بن الخطاب:

الا ابلغَ أميرَ المؤمنين رسالةً فأتى أمينُ الله في النهى والأمر
وأنت أمينُ الله فينا ومن يكن أمينًا لرَبِّ العرش يسلم له صدرى
فلا تدعُ أهلَ الرساتيِّ والقُري يسفون قال الله في الأدم الوفى

فأزِيلُ إلى الحبَّاجِ فأعرفُ حسبه وأرسلُ إلى جُزءٍ وأرسلُ إلى بَشَرٍ

(8) يراجع كتاب المؤتمر (أدب الغضب، الهيئة العامة لقصور الثقافة 2009) وتقع فيه الدراسة بعد حذف ما اقتضاه حجم الكتاب بين صفحتي 135، 159.

(9) يراجع: صورة الآخر في الشعر العربي الحديث، الدكتور فوزى عيسى 1، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2010.

(10) صورة الآخر في الشعر العربي الحديث 1.

(11) نفسه 7، وقد أفاد الباحث من رسالة الدكتور إيهاب النجدي للدكتوراه وعنوانها: "صورة الغرب في الشعر العربي الحديث" وقد نشرتها مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعرى بالكويت عام 2008 وكانت الرسالة بإشراف المرحوم الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام).. وذلك فيما ذكره بالفصل الخامس عن البعد الفنى، إذ استغدت من تقسيمه المنهجي الذى رأته مناسباً كذلك لموضوعى في أكثره.

وبخلاف ذلك، فهناك دراستان، تناولتا من بعيد، بعض ما يتصل ببحثي، أولاهما للدكتور جابر عصفور، إذ عرض بالتحليل لقصيدة عبد الرحمن الشقراوى في كتاب "ذاكرة للشعر" وأشار إلى حيوية القصيدة وأنها "تبدو في أجزاء منها كما لو كانت مكتوبة لزماننا، الزمن نعيشه سنة 2002" كما نبّه إلى أن الشقراوى "فى طليعة اليسار" ويبيّن بعضاً من خصائص خطاب الشقراوى الإبداعي "فى تراكيبه الخطائية وإيقاعاته الحماسية وصوره الواقعية ولغته الجماهيرية من قلب الانتماء النضالي" وعنده فإن القصيدة تتميز بأمرين، الأول "هو أن القصيدة تصرخ خطابها من وجهة نظر مثقف لا يتخلى عن جذوره الأولى بوصفه فلاحاً مصرياً ينتمى إلى قرية "الدلاتون" التى تشير إليها القصيدة على سبيل التضمين". وتكشف هذه الدلالة عن الأمر الثانى الذى تسم به القصيدة، من حيث استغلالها عناصر خاصة من السيرة الذاتية لصاحبها في مرحلة الطفولة والشباب الباكر، لتبرز التكوين العام والنظرة المائزة لمثقف العالم الثالث"

يراجع في ذلك كله: ذاكرة للشعر، الدكتور جابر عصفور (174، 175، 177، 179 على الترتيب) مهرجان القراءة للجميع 2002، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أما الدراسة الثانية والتى لامت جزءاً مما ورد بالبحث فهى دراسة الدكتور صلاح فضل عن "أحمد تيمور - وشعر الأطباء" وفيها يعرض لديوانه: المصافير في زيبا القاهري، دون أى تطويع لديوان "فى وصف أمريكا"، وعنده فإن أبرز مظاهر شعرية تيمور تتمثل "فى استقطار النغم التوقيعى المرفوع فى جملته الشعرية الأنيقة.. كما تكمن أيضاً فى ملمح أسلوبى بارز يعكس مدى عصريّة لغة تيمور وحساسيتها الجمالية، ويتصل بطبيعة الصورة الشعرية لديه، حيث يعتمد المجاز على نوع من التخيل المجسد القريب والفنى فى الآن ذاته"

يراجع في ذلك: نبرات الخطاب الشعري، الدكتور صلاح فضل 79، مهرجان القراءة للجميع 2004، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

هوامش التمهيد

- (1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد 82/ 1، دار الطلائع بالقاهرة، الطبعة الأولى 2006.
- (2) الغرب المتخيل "رؤية الآخر فى الوجدان السياسى العربى" نسيب الحينى، ترجمة غازي برو 15، المجلس الأعلى لثقافة بمصر 2005.

- (3) صورة الغرب في الشعر العربي الحديث 10.
- (4) يرى الكاتب الأمريكي هنري لوس أن "القرن العشرين هو (القرن الأمريكي)"
يراجع في ذلك في: تفكيك أمريكا، رضا هلال 10، الإعلامية للنشر بالقاهرة، الطبعة الأولى
فبراير 1998، سلسلة الألف قضية "الكتاب السادس".
- (5) برج بابل "النقد والحدادة الشريفة" الدكتور غالى شكرى 13، الهيئة المصرية العامة للكتاب
1994.
- (6) الشعراء والسلطة، أحمد سويلم 217، دار الشروق بمصر، الطبعة الأولى 2003.
- (7) تاريخ الأمم والرسول والملوك للطبرى 2 / 409، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى
1407.
- (8) الشعراء والسلطة 24، 25.
- (9) قراءة ثانية في شعر صلاح عبد الصبور، الدكتور أحمد عبد الحى يوسف 9، مطبوعات الرافعي،
تصدرها مديرية الشباب والرياضة بالغربية، الطبعة الأولى 1989.
- (10) حياتي في الشعر، صلاح عبد الصبور 74، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى 1969.
- ويراجع في قريب من ذلك: الأدب للشعب، سلامة موسى 101، مكتبة الأنجلو بمصر 1956.
وفيه: "إن الأدباء هم كهنة الشعب وأتمت ووعاظه المصريون، وهم الذين يرسمون الخطط
ويعينون الأذواق ويفتحون المستقبل ويسمون بالشعب إلى أرقى المستويات في الفكر والعمل"
وأراهم أنا بعض حراس عقيدته ممن ينشغلون بالوطن لا بالوطن.
- (11) محمد (صلى الله عليه وسلم) في الشعر المعاصر، فاروق خورشيد وأحمد كمال زكي
106، المكتب الفني للنشر بالقاهرة، الطبعة الأولى، مارس 1959.
- (12) يراجع في أشكال علاقة الأنا بالآخر: تأويل الخطاب الشعري النظرية والتطبيق، محمد أحمد
العزب نموذجًا، دكتور إبراهيم الزرزموني 93، مكتبة الآداب بالقاهرة، الطبعة الأولى 2010.
وفيه: "يحدد أحد الباحثين أشكال علاقة الأنا بالآخر في: التماهي (الانبهار التام)، والتضاد
(الرفض التام) والالتقاء الواهي (التوفيق والتلفيق)".

- أو هي ببساطة: التوافق، والمخالفة، والتأرجح أو التلقيق. ويراجع أيضًا: الغرب المتخيل 14. وفيه: "إننا متعددون في نظرتنا ولَدَى كُلِّ منا غِرْبَةُ الْمُتَخِيلِ، قد تتراوح خصائص رؤانا إليه من الافتتان الكامل به إلى رفضه القاطع، مرورًا باستحسانه أو الارتياب منه- تبعًا للعواقب العملية"
- (13) المنتخب من أدب العرب، جمعه وشرحه طه حسين وآخرون 1/254، مكتبة الأسرة 2014، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- (14) ألحان مصرية صالح جودت 55، دار الكاتب العربي بمصر، د.ت.
- (15) ديوان حافظ إبراهيم 1 / 313، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر "سلسلة ذاكرة الكتابة (28) يناير 2002.
- (16) حكم أمريكا فيما بين سنتي 1901، 1908.
- (17) الشوقيات، لأحمد شوقي 1/101، دار العودة بيروت 1988.
- (18) ترى الدكتورة هالة سعودى في كتابها "صناعة الكراهية 14" أن التأييد الأمريكي الإسرائيلي يأتى على رأس العناصر التى سبَّبت الخلاف والصدام العربى الأمريكى "وقد أدرك الشاعر العربى معاونة الأمريكان لإسرائيل فى حربهم على مصر 1967 فقال هارون هاشم رشيد الفلسطينى:
- "إنه المصرى / صديقتى لم يُهْزَمَ الجنود
ولم تكن نحاربُ اليهودَ/ وإنما نحاربُ الدولارَ/ نحاربُ الألفاظَ والأسرار
نحاربُ الأصابع الخفية/ والأوجة الشائنة الغيبة
تلك التى تعمل فى الظلام/ ولا تراعى المهذ والمهدم"
- يراجع ذلك فى: كلمات على الطريق، إعداد فاروق شوشه 67، 68، دار الكاتب العربى، د.ت.
- (19) ديوان عبد اللطيف النشار 48، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1978.
- (20) ديوان رجب الصدى، محمود غنيم 151، مطابع دار الشعب بالقاهرة 1979.
- (21) نفسه 42.
- (22) ديوان فى ظلال القمر لعلى الجندى 5، 6، مطبعة المدنى بالقاهرة 1977.

- (23) الشعر والتجديد للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي 435، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.
- (24) ديوان: المتنبي يشرب القهوة في فندق الرشيد، شعر الدكتور حسين علي محمد 108، هيئة النيل العربية للنشر والتوزيع بمصر، (سلسلة: كتاب الرسالة) السنة الرابعة، العدد الرابع، الطبعة الأولى يناير 2008.
- (25) أجمل مائة قصيدة في الشعر الحديث والمعاصر، إعداد وحيد الدهشان وناصر صلاح 116، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة 2007.
- (26) نفسه 113.
- (27) صلاح الأمة في علو الهمة، الدكتور سيد المفاني 2/50، مؤسسة الرسالة بالقاهرة، الطبعة الأولى.

هوامش الماهية

- (1) راقى الشهد من شعر الدعوة والرفاق والزهد "وإسلاماه"، جمع وترتيب الدكتور سيد حسن المفاني 129، مكتبة معاذ بن جبل بالقاهرة، الطبعة الأولى 2001 وسيذكر المصدر فيما بعد بـ "وإسلاماه".
- (2) ديوان: غداً لا ينفع البدم، وحيد الدهشان 8، سلسلة آفاق أدبية (غير دورية) يصدرها الشاعران: ناصر صلاح وحيد الدهشان، العدد 18، يوليو 2002.
- (3) ديوان: المتنبي يشرب القهوة في فندق الرشيد للدكتور حسين علي محمد 111.
- (4) ديوان: مع الهمم عربياً، حسين نجم 198، الطبعة الأولى بالقاهرة 2009.
- (5) ديوان: لو تطليبن العمر، للدكتور بسيم عبد العظيم 169، مطابع دار الوثائق بشتين الكوم، الطبعة الأولى 2011.
- (6) ولا تهنوا، شعر وحيد الدهشان 22، آفاق أدبية، العدد 26، يوليو 2008.
- (7) وإسلاماه 208، 209.
- (8) شاعر مصري وُلِدَ في 1938 وتوفي في 1997.
- (9) أجمل مائة قصيدة في الشعر الحديث والمعاصر، إعداد وحيد الدهشان وناصر صلاح 88، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة 2007.

- (10) نفسه 28.
- (11) ديوان حبيبي يا رسول الله، السيد جلال 15، طبعة 2012.
- (12) ولا تهنأ 32، 33.
- (13) وطنيتي وأشعار أخرى، شعر على الفاياثي 149، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الرابعة 2010.
- (14) أغاني الزاحفين، عبد المنعم هواد يوسف 20، دار الديمقراطية الجديدة القاهرة، د.ت.
- (15) المؤرخون وروح الشعر، إيمري نف، ترجمة توفيق إسكندر، مكتبة الأنجلو المصرية مايو 1961.
- (16) وطنيتي 150.
- (17) من أب مصري 15.
- (18) حبكم الله ونعم الوكيل، شعر جابر قميحة 155، مركز الإعلام العربي بالقاهرة.
- (19) والإسلاماء 402.
- (20) في وداع بوش، فاروق جويده، جريدة الدستور المصرية، عدد الجمعة 9 يناير 2009.
- (21) المتنبي يشرب القهوة 108.
- (22) محاكمة أمريكا، شعر محمد الجيار 30، وزارة الثقافة المصرية، ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.ت.
- (23) نفسه 60.
- (24) نفسه 41.
- (25) نفسه 31.
- (26) في وصف أمريكا، شعر الدكتور أحمد تيمور 73، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الأولى 1993.
- (27) والإسلاماء 398.
- (28) في وداع بوش.
- (29) حبكم الله ونعم الوكيل 161.
- (30) في وصف أمريكا 44.

هوامش الفصل الثاني

(فن التقنيات الشعرية في خطاب الآخر الأمريكي)

- (1) الرؤية الفكرية والشكل الجمالي في شعر السيد الحميري 230، دكتور علي إبراهيم أبو زيد، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى 1984.
- (2) الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون 3 / 131.
- (3) استراتيجيات تحليل الخطاب الشعري، الدكتور محمد مفتاح 19، المركز الثقافي العربي بالمغرب.
- (4) في وصف أمريكا 7.
- (5) تقابلات الحدائق في شعر السبعينيات الدكتور محمد عبد المطلب 79، كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر.
- (6) عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دكتور علي عشري زايد 58، مكتبة ابن سينا بالقاهرة، الطبعة الرابعة 2002.
- (7) قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة 276، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة العاشرة 1997.
- (8) في وداع بوش.
- (9) من أب مصري 25.
- (10) محاكمة أمريكا 43.
- (11) البحث البلاغي عند العرب (تأصيل وتقييم) دكتور شفيع السيد 186، دار الفكر العربي بالقاهرة 1987.
- (12) رسالة من أب مصري 4، 6.
- (13) مع الهمم هرياً لحسين نجم 193.
- (14) قضايا الشعر المعاصر 270.
- (15) محاكمة أمريكا 52، 53.
- (16) رسالة من شاب عربي "عواد".
- (17) محاكمة أمريكا 67، 68.

هوامش المقابلة والمفارقة

- (1) في وصف أمريكا 37، 36.
- (2) نفسه 15.
- (3) نفسه 11.
- (4) نفسه 58.
- (5) نفسه 70.
- (6) نفسه 13.
- (7) نفسه 34.
- (8) يراجع في ذلك: تأويل الخطاب الشعري النظرية والتطبيق محمد أحمد العزب نموذجاً، دكتور إبراهيم الزرزموني 136، مكتبة الآداب بالقاهرة، الطبعة الأولى 2010.
- (9) يراجع في تعريف المفارقة: المفارقة في شعر عدى بن زيد العبادي دراسة نظرية تطبيقية، الدكتور حسنى عبد الجليل يوسف 3، الدار الثقافية للنشر بالقاهرة، الطبعة الأولى 2001.
- وفيه: "تبدى المفارقة في مظاهر شتى تتصل بالوجود والمجتمع، ومن ثم تنعكس صورها في الأدب، وتتمثل في أوجه التناقض والتضاد في علائق عناصر أطراف يجب أن تكون متوافقة، وكذلك فيما ظهر لنا عكس حقيقته، حيث نرى العبث في الجد والزيغ في الحقيقة، ولهذا تتصل في كثير من صورها بالتهكم والسخرية، والدهشة، والألم، والإحساس بالفجيعة والمأساة"
- ويراجع فيها أيضًا: تأويل الخطاب الشعري 136 وما بعدها.
- بناء الأسلوب في شعر الحدادثة "التكوين البديعي"، الدكتور محمد عبد المطلب 437 وما بعدها، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى 1993.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة 130 وما بعدها.
- (10) من أب مصرى 4.
- (11) يستقيم في إطار تلك المقابلات وإن على نحو خافت، المقابلة (تقطف، تسحق).
- (12) ذاكرة للشعر 183.
- (13) تأويل الخطاب الشعري 189.

هوامش: الأساليب الإنشائية

- (1) خصائص الأسلوب في الشوقيات، دكتور محمد الهادي الطرابلسي 349، منشورات الجامعة التونسية 1981 "السلسلة السادسة الفلسفة والآداب، المجلد العدد 20".
- (2) خصائص الأسلوب 349-350.
- (3) من أب مصري وقصائد أخرى، الشرقاوي: 19-22.
- (4) من أب مصري وقصائد أخرى: 6-7.
- (5) ولا تهنوا، وحيد الدمشان: 18.
- (6) وإسلاماه: 406-408.
- (7) من أب مصري: 3.
- (8) ولا تهنوا، وحيد الدمشان: 18.
- (9) وإسلاماه: 398.
- (10) وإسلاماه: 40.
- (11) رسالة إلى بوش: 154.
- (12) في وداع بوش، فاروق جويدة.
- (13) وطنيتي للغاياتي: 149-150.
- (14) وإسلاماه: 406.
- (15) وإسلاماه: 405-406.
- (16) من أب مصري: 6.
- (17) الغاياتي: 151.
- (18) رسالة إلى بوش: 157.
- (19) وإسلاماه: 399.

- (20) في وداع بوش.
(21) في وداع بوش.
(22) من أب مصري 4.
(23) من أب مصري 23-25
(24) رسالة إلى بوش 161.

هوامش التناص

- (1) النص والتناص الدكتور رجاء عيد 178. ضمن بحوث مجلة "علامات" في النقد، يصدرها النادي الأدبي الثقافي بجدة، الجزء 18، المجلد الخامس، ديسمبر 1985.
(2) بلاغة الخطاب وعلم النص الدكتور صلاح فضل 259، سلسلة عالم المعرفة الكويتية رقم (164) أغسطس 1992.
(3) شفرات النص الدكتور صلاح فضل 167.
(4) رسالة قصيرة إلى بوش 18.
(5) وإسلاماء 407، 408.
(6) وطنيتي 15.
(7) في وصف أمريكا 94.
(8) شرح التعليقات السبع للزوزني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع بالقاهرة 2009.
(9) وطنيتي 151.
(10) الشوقيات لأحمد شوقي، 1/ 323.
(11) يراجع في ذكر "بيدي وكازنر، ثم شازلي شابلين ومادونا وهينجواي: في وصف أمريكا 73، 42، 50، 84 على الترتيب، ويراجع في ويلسون: محاكمة أمريكا 47. ويراجع في استدعاء (جيفارا) رمز المقاومة والصمود والثورة: محاكمة أمريكا 77، وفيه:
لا تبحث عن جيفارا في أمريكا اللاتينية..

- فهو دعاء الريح وراه جبال أسطورية
وهو الحرف الأول في دُمُتَاتِ بَيْتِمْ ثَانِز
وهو دخان الموت على الرَبَوَاتِ البركانية
وهو الغاية شُبْتُ لَهَا أخضر
وهو الناسُ بكُلِّ مكان.. / جيفارا ملحمة الإنسان
ومن البين اتكاء الشاعر على تقنية التكرار في الإشادة بـ "جيفارا" مثال الشاعر النموذج على
طريق التحرر والنضال.
- (12) في وصف أمريكا 12. ويراجع في تنصيص "الجبار" لأماكن لائتية تنفضح الآخر لمآسيه
بها: محاكمة أمريكا 46.
- (13) وصف أمريكا 75.
- (14) استخدم الشاعر المصري بالمدونة من الألفاظ الأجنبية: متر (قميحة) "آيب" من أب مصري
9 " ويكثر تردد هذه الألفاظ أيضًا في وصف أمريكا، ومما يختص به الأخير تنصيصه لمفردات:
الروبوت، الكمبيوتر، الريموت، والكيكل، اليسبول، الكريسمن، الوبيسي، الذسكو والبلائي
بُوى.. تُراجع في (في وصف أمريكا) على التوالي في: 40، 43، 46، 48، 51، 59، 13.
- (15) في وصف أمريكا 13، 14.
- (16) نفسه 8.
- (17) يراجع في تنصيص المصطلحات المسيحية: محاكمة أمريكا 38 وفيه:
الأشباح: عَمَدَتِ الأطفال جميعًا في نهر الدم
الطيار: فتلقبل يا طفل الحسرات..
عبي بعيونك حاكمتي..
لن يتورع أن يصلبني..
حسبكم الله ونعم الوكيل 159.
- (18) حسبكم الله ونعم الوكيل 159.
- (19) في وصف أمريكا 7.

هوامش الصورة

- (1) نظرية البنائية، صلاح فضل 238.
- (2) الصورة والبناء الشعري، دكتور محمد حسن عبد الله 8، دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الأدبية (83).
- (3) الصورة والبناء الشعري 8.
- (4) نفسه 12.
- (5) نفسه 11.
- (6) ص 23.
- (7) في وصف أمريكا، دكتور أحمد تيمور: 34
- (8) في وصف أمريكا 37.
- (9) في وصف أمريكا 33.
- (10) من أب مصري وقصائد أخرى، عبد الرحمن الشقراوى - 17 18.
- (11) وإسلاماء 409.
- (12) يقول جريدة في أعقاب الصورة مباشرة:
ورأيت يا مولائى / كلَّ مصائب الدنيا على وطنى
فهل يرضيك حقًا ما رأيت / لو كان في حيفا جريح أو مريض
أو حزين ما رضيت.
- (13) من أب مصري، وقصائد أخرى، عبد الرحمن الشقراوى: 19.
- (14) وإسلاماء 400 - 401.
- (15) في وصف أمريكا 14.
- (16) محاكمة أمريكا، محمد الجيار 44.
- (17) من أب مصري، عبد الرحمن الشقراوى 23 - 24.

هوامش الإيقاع

- (1) نقد الشعر، قدامة بن جعفر 17 تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.
- (2) تحليل النص الشعري "بنية القصيدة"، يورى ليتمان 71، ترجمة الدكتور محمد فتوح أحمد، دار المعارف بمصر 1995.
- (3) تحليل النص الشعري 70.
- (4) المعلقة، لابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد 1/115، دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير بالقاهرة، الطبعة الأولى 2006.
- اعتمد البحث دراسة أوزان القصائد والديوان دون الأبيات المفردة كون القصائد والديوان لثما خلصت للرمز الأمريكي فأوزانها هي الألفق بالموضوع، والأكثر تعبيراً عن قصدية المبدع إلى هذه الأوزان دون غيرها.
- (5) في وصف أمريكا: 97.
- (6) في وصف أمريكا: 96.
- (7) المرشد لفهم أشعار العرب، للدكتور عبد الله الطيب 383 / 1، مطبعة حكومة الكويت.
- (8) المرشد لفهم أشعار العرب 1 / 404 - 406.
- (9) وطنيتى وأشعار أخرى، على الغاياتى 149.
- (10) وطنيتى وأشعار أخرى 151.
- (11) وطنيتى وأشعار أخرى 152.
- (12) المرشد إلى فهم أشعار العرب 1 / 103.
- (13) رسالة إلى يوش 157.
- (14) عن بناء القصيدة 173.
- (15) النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي في الشعر الجديد، الدكتور علي يونس 141، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985.

- (16) البنية الإيقاعية في الشعر العربي المعاصر "صلاح عبد الصبور نموذجاً" دكتور صبيحة قاسي 76، مكتبة الآداب بالقاهرة.
- (17) البناء العروضي للقصيدة العربية دكتور محمد حماسة عبد اللطيف 165، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة الأولى 1999.
- (18) محاكاة أمريكا 36.
- (19) نفسه 74.
- (20) في وصف أمريكا 16.
- (21) نفسه 37، 38.
- (22) نفسه 22.
- (23) نفسه 43، 44.
- (24) رسالة من شاب عربي 18.
- (25) في وصف أمريكا 96.
- (26) نفسه 47.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. أغاني الزاحفين، عبد المنعم عواد يوسف "بالاشتراك"، دار الديمقراطية الجديدة القاهرة، د.ت.
2. حسبكم الله ونعم الوكيل، شعر جابر قميحة، مركز الإعلام العربي بالقاهرة.
3. ديوان عبد اللطيف النشار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978.
4. رائق الشهد من شعر الدعوة والرقائق والزهد "والإسلاماء"، جمع وترتيب الدكتور سيد حسن العفاني، مكتبة معاذ بن جبل بالقاهرة، الطبعة الأولى 2001.
5. في وداع بوش، فاروق جويده، جريدة الدستور المصرية، عدد الجمعة 9 يناير 2009.
6. في وصف أمريكا، شعر الدكتور أحمد تيمور، دار سعاد الصباح، الكويت، الطبعة الأولى 1993.
7. المتنبى يشرب القهوة في فندق الرشيد، شعر الدكتور حسين على محمد، هبة النيل العربية للنشر والتوزيع بمصر، (سلسلة: كتاب الرسالة) الطبعة الأولى 2008.
8. محاكمة أمريكا، شعر محمد الجيار، وزارة الثقافة المصرية، ودار الكاتب العربي للطباعة والنشر، د.ت.

9. مع الهمّ عربيًا، شعر حسين نجم، الطبعة الأولى بالقاهرة 2009.
 10. من أب مصري وقصائد أخرى، عبد الرحمن الشراقوي، دار النشر هاتيه، فبراير 1989.
 11. وطنيتي، شعر على الغاياتي، مكتبة جزيرة الورد، الطبعة الرابعة 2010.
 12. ولا تهنوا، شعر وحيد الدهشان، سلسلة آفاق أدبية.
 13. حبيبي يا رسول الله، شعر السيد جلال، 2012.
- ثانيًا: المراجع:**
14. أجمل مائة قصيدة في الشعر الحديث والمعاصر، إعداد وحيد الدهشان وناصر صلاح 116، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة بالقاهرة 2007.
 15. الأدب للشعب، سلامه موسى، مكتبة الأنجلو المصرية، فبراير 1956.
 16. استراتيجيات تحليل الخطاب الشعري، الدكتور محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي بالمغرب.
 17. ألحان مصرية صالح جودت، دار الكاتب العربي بمصر، د.ت.
 18. الإنسان الجديد وقصائد أخرى، أحمد زكي أبوشادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1983.
 19. البحث البلاغي عند العرب (تأصيل وتقييم) دكتور شفيع السيد، دار الفكر العربي بالقاهرة 1987.
 20. برج بابل "النقد والحداثة الشريفة" الدكتور غالي شكري، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1994.
 21. بلاغة الخطاب وعلم النص الدكتور صلاح فضل، سلسلة عالم المعرفة

- الكويتية رقم (164) أغسطس 1992.
22. بناء الأسلوب في شعر الحداثة "التكوين البديعي"، الدكتور محمد عبد المطلب، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى 1993.
23. البناء العروضي، دكتور. محمد حماسة عبد اللطيف، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة الأولى 1999.
24. البنية الإيقاعية في الشعر العربي المعاصر "صلاح عبد الصبور نموذجًا" دكتورة صبيحة قاسي، مكتبة الآداب بالقاهرة.
25. تأويل الخطاب الشعري النظرية والتطبيق "محمد أحمد العزب نموذجًا" إبراهيم أمين الزرزموني، مكتبة الآداب بالقاهرة، الطبعة الأولى 2010.
26. تاريخ الأمم والرسل والملوك للطبري، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1407هـ.
27. تحليل النص الشعري، يورى لوتمان، ترجمة محمد أبو الفتوح، دار المعارف بمصر 1985.
28. تفكيك أمريكا، رضا هلال، الإعلامية للنشر بالقاهرة، الطبعة الأولى فبراير 1998، سلسلة الألف قضية "الكتاب السادس".
29. تقابلات الحداثة في شعر السبعينيات الدكتور محمد عبد المطلب، كتابات نقدية، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر.
30. الحيوان للجاحظ، تحقيق عبد السلام هارون.
31. حياتي في الشعر، صلاح عبد الصبور، دار العودة بيروت، الطبعة الأولى 1969.
32. خصائص الأسلوب في الشوقيات، دكتور محمد الهادي الطرابلسي،

- منشورات الجامعة التونسية 1981 "السلسلة السادسة الفلسفة والآداب، المجلد العدد 20" - 7.
33. دراسات نقدية، مصطفى عبد اللطيف السحرتي.
34. ديوان آلام وآمال، أحمد يوسف، الطبعة الأولى، فبراير 2011.
35. ديوان ألحان مصرية، صالح جودت، دار الكاتب العربي بمصر، د.ت.
36. ديوان حافظ إبراهيم، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر "سلسلة ذاكرة الكتابة (28) يناير 2002.
37. ديوان حبيبي يا رسول الله، السيد جلال، طبعة 2012.
38. ديوان: غدا لا ينفع الندم، وحيد الدهشان، سلسلة آفاق أدبية (غير دورية) يصدرها الشاعران: ناصر صلاح وحيد الدهشان، العدد (18) يوليو 2002.
39. ديوان في ظلال القمر لعلى الجندي، مطبعة المدني بالقاهرة 1977.
40. ديوان الرصافي، أتم شرحه وصححه مصطفى السقا، نشر الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، الطبعة الخامسة، ديسمبر 2004، سلسلة آفاق عربية "84، 85".
41. ديوان عامر، عامر محمد بحيري، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.
42. ذاكرة للشعر، الدكتور جابر عصفور، مهرجان القراءة للجميع 2002، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
43. الرؤية الفكرية والتشكيل الجمالي في شعر السيد الحميري، دكتور علي إبراهيم أبو زيد، دار المعارف بمصر، الطبعة الأولى 1984.
44. رجع الصدى، شعر محمود غنيم، مطابع دار الشعب، 1979.

45. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دكتور محمد فتوح أحمد، دار المعارف، الطبعة الثالثة 1984.
46. شرح المعلقات السبع للزوزني، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع بالقاهرة 2009.
47. الشعراء والسلطة، أحمد سويلم، دار الشروق بالقاهرة، الطبعة الأولى 2003.
48. الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، الدكتور عز الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديمية بالقاهرة، الطبعة الخامسة 1994.
49. الشعر والتجديد للدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، رابطة الأدب الحديث بالقاهرة.
50. شفرات النص الدكتور صلاح فضل.
51. الشوقيات، لأحمد شوقي، دار العودة بيروت 1988.
52. صلاح الأمة في علو الهمة، الدكتور سيد العفاني، مؤسسة الرسالة بالقاهرة، الطبعة الأولى.
53. صورة الآخر في الشعر العربي الحديث، الدكتور فوزي عيسى، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية 2010.
54. صورة الغرب في الشعر العربي الحديث "وقد نشرتها مؤسسة جائزة البابطين للإبداع الشعري بالكويت عام 2008 وكانت الرسالة بإشراف المرحوم الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عبد الحليم (أبو همام)
55. الصورة والبناء الشعري، دكتور محمد حسن عبد الله، دار المعارف بمصر، مكتبة الدراسات الأدبية (83).

56. عبد الحليم المصري شاعر الوطنية والشباب، عبد الحليم المصري "ديوانه" كتاب الثقافة الجديدة، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، أول سبتمبر 1993.
57. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده لابن رشيق، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الطلائع بالقاهرة، الطبعة الأولى 2006.
58. عن بناء القصيدة العربية الحديثة، دكتور علي عشري زايد، مكتبة ابن سينا بالقاهرة، الطبعة الرابعة 2002.
59. الغرب المتخيل "رؤية الآخر في الوجدان السياسي العربي" نسيب الحسيني، ترجمة غازي برو، المجلس الأعلى للثقافة بمصر، 2005.
60. قراءة ثانية في شعر صلاح عبد الصبور، الدكتور أحمد عبد الحى يوسف، مطبوعات الرافعي، تصدرها مديرية الشباب والرياضة بالغربية، الطبعة الأولى 1989.
61. قضايا الشعر المعاصر، نازك الملائكة، دار العلم للملايين بيروت، الطبعة العاشرة 1997.
62. كلمات على الطريق، إعداد فاروق شوشة، دار الكاتب العربي، د.ت.
63. لو تطلعين العمر، للدكتور بسيم عبد العظيم، مطابع دار الوثائق بشبين الكوم، الطبعة الأولى 2011.
64. المؤرخون وروح الشعر، إمري نف، ترجمة دكتور توفيق إسكندر، مكتبة الأنجلو المصرية، مايو 1961.
65. محمد (صلى الله عليه وسلم) في الشعر المعاصر، فاروق خورشيد وأحمد كمال زكي، المكتب الفني للنشر بالقاهرة، الطبعة الأولى، مارس 1959.

66. معجم مصطلحات الأدب في اللغة والأدب، كامل وهبة ومجدى المهندس، مكتبة لبنان ببيروت، الطبعة الثانية 1984.
67. المعجم المفصل في الأدب، دكتور محمد التونجي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى 1993.
68. المفارقة في شعر عدى بن زيد العبادى دراسة نظرية تطبيقية، الدكتور حسنى عبد الجليل يوسف، الدار الثقافية للنشر بالقاهرة، الطبعة الأولى 2001.
69. مفهوم الشعر في التراث العربي "النشأة والتطور" أحمد حلمي عبد الحليم، الهيئة العامة لقصور الثقافة بمصر، 2013.
70. مقاربة النص الأدبي بين الرؤية والفن، دكتور وليد قصاب، ضمن بحوث مجلة "الأدب الإسلامي"، المجلد (20)، العدد (78) يونيو 2013، تصدر عن "رابطة الأدب الإسلامي العالمية"، بمكة المكرمة.
71. المنتخب من أدب العرب، جمعه وشرحه دكتور طه حسين وآخرون، الهيئة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة 2014.
72. نبرات الخطاب الشعري، الدكتور صلاح فضل، مهرجان القراءة للجميع 2004، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
73. النص والتناص الدكتور رجاء عيد، ضمن بحوث مجلة "علامات" في النقد، يصدرها النادي الأدبي الثقافي بجدة، الجزء 18، المجلد الخامس، ديسمبر 1985.
74. النقد الأدبي وقضايا الشكل الموسيقي الجديد، دكتور علي يونس، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1985.

75. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة، الطبعة الثالثة، د.ت.
76. النبروز الحر وقصائد أخرى، أحمد زكي أبوشادي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر بيروت، الطبعة الأولى 1988.
77. لا تهنوا، شعر وحيد الدهشان، آفاق أدبية، العدد 26، يوليو 2008.

فهرس المحتويات

5	إهداء
6	تقديم
11	المقدمة
17	تمهيد
29	الفصل الأول: الماهية
32	أولاً: تيار الهمس الرقيق
35	تيار المواجهة (العتاب العنيف)
39	أولاً: الإمساك باللحظة التاريخية ومواجهة الآخر بجرائمه
45	ثانياً: البعد الإنساني والانشغال بالطفولة
47	ثالثاً: حضور الدين
48	الفصل الثاني: فن التقنيات الشعرية في خطاب الآخر الأمريكي
50	التشاكل والتباين
52	التكرار
60	المقابلة
68	المفارقة
71	النفسى
77	الأساليب الإنشائية
84	النداء

88	الاستفهام
93	الأمر
95	التناس
103	الصورة
112	الإيقاع
117	القافية
132	الخاتمة
136	الهوامش
151	المصادر والمراجع
159	فهرس المحتويات